لَمَحَاتٌ من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيَّة لابن عبد القادر الفاسي 1211ـ1212هـ/1796ـ1797م

د. رمضان محمد رمضان الأحمر

عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة بنغازي

R.ALAHMER@Gmail.com

ramdan.alahmar @uob.edu.ly

المستخلص

حَظِيَت كُتُب الرّحْلات بأهمية خاصة في عملية التدوين التاريخي وفي الكشف عن تاريخ الشُّعوب والأُمم والأجناس المختلفة. وقد كان لليبيا نَصيباً وافراً من كتابات هذه الرّحْلات، ولا سيما الرّحْلات الحجَازيّة الْمَغْربيَّة إلى الأراضي المقدسة، حيث أنَّ مُدُن ليبيا وقُرَاها كانت دائماً مَحَطَّات نُزُول وتَزَوّد لأصحاب هذه الرحلات وهم في طريقهم إلى الحجاز. وفي هذا المقال نهدف للاستفادة من إحدى هذه الرّحْلَات في الكشف عن جزء من تاريخ ليبيا، وهي الرحلة الحجازية لابن عبد القادر الفاسي، التي لا يزال كتابها مخطوطاً لم يُحَقّق ويُنشر بعد. وباستخدام المنهج التاريخي الاستقرائي الذي يعتمد على استقطاع النّصوص التاريخية من مصادرها، ثم استقراؤها واستنباطها وتحليلها وتوظيفها بعد ذلك، تَمَكّنَت الدراسة من التّعَرّف على لمحات من أوضاع ليبيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال ما دَوَّنَهُ صاحب الرحلة من مشاهدات وملاحظات عايشها بنفسه أو سَمعَ بها تعكس واقعها الصحيح آنذاك. وقد توصلت الدراسة إلى أنَّ مادة المؤلف عن هذه الموضوعات كانت قَيّمَة وغَنيّة بالتفاصيل التي لا نجدها عند الكثير غيرها من الرّحْلَات، مما جعل هذه الرحلة متميزة في مضمونها، ذات أهمية في مخطوطها. الأمر الذي حَتَّمَ انتهاء الدراسة والنتائج بتوصية إلى المهتمين بالتاريخ اللّيبي بزيادة العناية بمخطوط هذه الرحلة، والعمل على استخراج ما جاء فيه من مادة تاريخية، تُفيد في الكشف عن موضوع آخر لم تتطرق له هذه الدراسة وهو الجانب الثقافي والفكري، الذي لم يَنْسَاهُ صاحب الرّحْلة من مُعَايَناته وتَدويناته المتميزة.

الكلمات المفتاحية: الرّحْلَة، ابن عبد القادر، ليبيا، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية.

Abstract

Travel books gained special importance in the process of historical writing and at revealing the history of peoples and nations. Moreover, Libya had a large share of writings on these travels, especially the Hejaz-Moroccan Journeys to the Holy Lands. Whereas the cities and villages of Libya were always landing stations for the people of these trips and provided supplies for them on their way to the Hijaz. In this article, we aim to benefit from one of these journeys in revealing part of the history of Libya, which is the Hijazi journey of Ibn Abd al-Qadir al-Fassi. In addition, the book on this journey is still is still an unpublished manuscript. Moreover, by using the historical inductive method, which depends on quote historical texts from its sources, then extrapolate it, understand it, elicit information it and use it afterwards, the study was able to identify the Glimpses of the political, economic and social conditions of Libya through the notes made by the traveler in his manuscript. The study also concluded, after its completion, that the author's information about this topic was accurate, abundant, and rich in details that we did not find it in other Journeys, Which made this journey, is distinctive and its manuscript is important. Finally, the study ended with a recommendation to those interested in Libyan history to increase interest in the manuscript of this journey and work on extracting what it contains at historical material, It is useful in revealing another topic that this study did not address, Especially that Ibn Abdul al-Qadir did not forget it from his previews and distinguished comments.

Key words: The journey, Ibn Abd al-Qadir, Libya, The political, The Economic, The social.

المقدمة:

بسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم وبه نَستعين والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء والمُرسلين، محمدٌ العربيّ الأمين، الْمُنَّزل رحمة للعالمين، فَأمَّا بعد:

قد سَبَقَ أنْ نُشرَ لنا مَقَالٌ تَاريخيٌّ منذ مُدَّة، كان عن: "**جُغرافية ليبيا وعُمرانها من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيَّة لابن عبد القادر الفاسي 1211-1212هـ/1796-1797م**". وفيه ترجمنا لابن عبد القادر الفاسيّ وتَعَرَّفْنَا على رحلته إلى الأراضي المقدسة التي نالت منها ليبيا –ما نالته من الكثير غيرها من الرحلات المغربية– من مشاهدات ابن عبد القادر الفاسي ومُعَايناته عنها وملاحظاته لأوضاع أهلها المختلفة، ثم كتابتها وتدوينها في مخطوط رحلته، التي من خلال استقطاعها –أي الملاحظات والمشاهدات عن ليبيا وأهلها– استطعنا أنْ نَستخلص منها ما يُفيدنا في توضيح جُغرافية ليبيا من خلال اهتمامه بالتعريف بمصادر المياه وتحديد مواطنها وذكر أسماء الآبار والمَعَاطن وغيرها، بالإضافة إلى تحديد أماكن المُدن والبقَاع المختلفة، وحساب المسافات بينها بكل أمانة ودقَّة. إلى جانب عرضه لعُمران ليبيا بما جاد به من وَصف لمُدُن وتجمعات بشرية فيها، ناهيك عن وصفه لبعض ما تَبَقَّى من أطلال مُدُن وآثار قُرَى كانت زاهرة على أرض ليبيا فيما سبق. (الأحمر، 2022، ص17-42).

ومن خلال العرض السابق توصلت الدراسة إلى عدة نتائج مفيدة، إلى جانب توصيات كان من أهمها تلك الموجهة إلى الباحثين والمهتمين بتاريخ ليبيا، تدعوهم إلى زيادة الاهتمام بدراسة رحلة ابن عبد القادر الحجازية، لإخراج ما يمكن إخراجه من

فوائدها ومعلوماتها الغنية عن ليبيا في وقتها. فَمَخطوط هذه الرحلة لا يزال يحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث المُعَمَّقَة، للكشف عَمّا جاء فيه من مادة تاريخية عن أوضاع ليبيا السياسية وأحوال أهلها الاقتصادية والاجتماعية إلى جانب حياتهم الدينية والعلمية. فهو على حسب اطّلاعنا عليه ودراستنا له لا يزال يحتوي من المادة المَصدريَّة التاريخية ما تُغَطّي هذه الجوانب وتُثْريها إن شاء الله. (الأحمر، 2022، ص36).

هكذا كانت توصيتنا في مقالنا السابق، واليوم بعد أنْ رَزقنا الله الهمّة والْمَقْدرَة أخذنا على عاتقنا كتابة هذا المقال الجديد الذي يُعَدُّ تنفيداً للتوصية سالفة الذكر، وفيه تناولنا موضوع: **"لَمَحَاتٌ من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا من خلال مخطوط الرحلة الحجازية لابن عبد القادر الفاسي 1211-1212هـ/1796-1797م"**.

وقد استخدمنا في كتابته عدة مناهج من مناهج البحث التاريخي، كان في مقدمتها المنهج المختص بقراءة النصوص العربية وتحقيقها، بالإضافة إلى المنهج التاريخي الاستقرائي الذي يعتمد على استقطاع النّصوص التاريخية من مصادرها، ثم فهمها واستقرائها وتوظيفها بعد ذلك. إلى جانب المنهج الاستنباطي، والتحليلي، وكذلك المنهج المقارن للمادة التاريخية المستقاة من رحلة ابن عبد القادر ومقارنتها مع غيرها من الرحلات التي سبقتها أو تلك التي أردفتها.

ويكمن السبب من وراء استخدام هذه المناهج المتعددة، هو لتحقيق أهداف الدراسة والوصول إلى أقصى حَدّ من الحقيقة التاريخية لموضوعاتها المطروحة، التي اخْتُزلَت في ثلاثة مباحث رئيسة جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: لمحات من الأوضاع السياسية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسيّ.

المبحث الثاني: لَمَحَاتٌ من الحياة الاقتصادية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسيّ:

المبحث الثالث: لَمَحَاتٌ من الحياة الاجتماعية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسيّ:

وقبل الخوض في مَضَامين هذه المباحث والتفصيل فيها، رأينا من المستحب أنْ نأخذ ونختصر من ترجمة ابن عبد القادر والتعريف برحلته، وهو مما ذكرناه سالفاً ونشرناه في مقالنا السابق –الذي أشرنا إليه أعلاه– وذلك لمَن لم يقرأه أو يَطَّلع عليه.

وبكل اختصار صاحب هذه الرحلة ومُدَوّن هذا المخطوط هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي الفهري، فَقيه مَالكيٌّ، وُلدَ بمدينة فاس المغربية سنة 1166هـ/1753م، في مُحيط عائلي مَليء بالعلم والعلماء، فهو سليل الأسرة الفاسيّة الكبيرة التي أنجبت العديد من العلماء المشهورين والأدباء اللّامعين. وقد تُوُفيَ ابن عبد القادر في مدينة فاس أيضاً سنة 1213هـ/1798م. وقُبَيل وفاته، تحديداً سنة 1211هـ/1796م، كان قد شَدَّ الرّحَال حَاجّاً من مسقط رأسه فاس إلى مَكّة المكرمة في رحلة مَرَّ في طريقه فيها بالجزائر وتونس وليبيا ومصر، ثم رجع إلى المغرب في السنة التالية (1212هـ/1797م) بعد أنْ زَارَ الحرمين الشَّريفَين وسائر الأماكن المقدسة. (الأحمر، 2022، ص19–20).

وقد حَذَا ابن عبد القادر –في رحلته هذه– حَذْوَ من سَبقوه من الرَّحَّالة والحُجَّاج المغاربة، حيث عَرَّفَنَا بأغلب مراحل رحلته التي قطعها، وعرض لنا أقصى ما جادت به

مشاهداته ومعايناته وملاحظاته سواء في طريق ذهابه أو إيابه، ودَوَّنَ كل ذلك في كتاب لا يزال مخطوطاً لم يُحقق أو يُنشر بعد على حسب علمنا. وقد وقفنا على نسختين من هذا المخطوط، نسخة أُوْلَى كانت بخزانة بلدية الإسكندرية، وحالياً محفوظة بمكتبة الإسكندرية، تحت رقم حفظ: (3578/ج جغرافيا)، وهي بخَطّ مَغْربيّ قديم. ونسخة ثانية مُصَوَّرة موجودة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، تحت رقم حفظ: (1054 جغرافيا)، وميكروفيلم: (48116)، وهي بخطّ مَشرقيّ مقروء، منقولة عن نسخة للمخطوط بخط مَغربي كما أشار الناسخ لها، وليس من المستبعد أنْ تكون منقولة من النسخة التي كانت بخزانة بلدية الإسكندرية التي أشرنا إليها سالفاً. (الأحمر، 2022، ص21).

وهذه النسخة الْمَشرقيّة جاءت تحت عنوان: "**رحلة ابن عبد القادر الفاسي من مدينة فاس**". وهي التي سنعتمد عليها في كتابة مقالنا هذا إسوةً بما فعلناه في المقال السابق؛ وذلك لأنها أوضح خَطّاً وأسهل قراءةً وأتقن تصويراً من النسخة المغربية.

والله المستعان...

المبحث الأول: لمحات من الأوضاع السياسية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسيّ.

في الحقيقة تَمَيَّزت رحلة ابن عبد القادر عن الكثير من الرحلات المغربية الأخرى بأنها أوردت لنا معلومات وفيرة عن الأوضاع السياسية السائدة في ليبيا في زمنها. فكثيراً من الحجاج المغاربة الذين دَوَّنوا رحلاتهم نجدهم لا يُعطون لهذا الأمر أهميته، حيث يكون جل تركيزهم منصباً –كما عَوَّدونا– على المياه ومراحل السَّفر ومَحَطَّات

النُّزُول والظّعن، إلى جانب الاهتمام بالجانب الديني الرَّوحاني من زيارة الأضرحة والمقامات والأولياء الصالحون...الخ، مروراً بالاهتمامات الثقافية بذكر من التقوه من أهل العلم في المدن والأقاليم التي زاروها، وتوضيح انطباعاتهم عنها وتقويمهم لها من حيث المعرفة أو الجهل إلى غيرها من الانطباعات.

لكن ابن عبد القادر في رحلته هذه نجده إلى جانب اهتمامه بما سبق، فهو لم يكن بخيلاً في سرد مادته التوثيقية بخصوص الأوضاع السياسية في ليبيا زمن رحلته، وهذه حَسَنَةٌ تُحْسَبُ له وتجعل من مخطوط رحلته ذو أهمية كبيرة، فَبخلاف ما يُستفاد منه فيما ذكرناه أعلاه كغيره من الرّحّالة، فإنَّ فيه –أي المخطوط– نُصُوصاً تُعْطي صورة واضحة عن أوضاع ليبيا السياسية في وقت الرحلة وانعكاساتها على حياة الناس ومعاشهم في أثناءها.

فَبمُجَرّد دخول ابن عبد القادر مع ركبه لمدينة طرابلس في طريق ذهابهم، نجده يستهل الحديث في مخطوطه ويُعَرّفنا باسم حاكم البلاد ومُتَوَلي أمورها آنذاك، على النّحْو الآتي:

"ذكر نُزولنا بمَحْرُوسَة طرابلس

وفي هذه الأيام الثلاثة السالفة الذكر جعل الباشا يوسف مُتَوَلي حكم طرابلس ونواحيها يبعث خدامه وأصحابه كل يوم بمَؤونة للركب. ولما قاربنا البلد بَعَثَ الباشا يوسف بن علي بن أحمد –باني المسجد القريب من باب مدينة طرابلس الذي هو في غاية الاتْقَان بحيث لم يُرَ مثله– ولده لملاقاة الرَّكْب في نحو خمسمائة من الخيل

والرُّمَاة وجعلوا يلعبون بالبارود حتى دخلنا بمهرجان عظيم...". (ابن عبد القادر، ورقة 22 أ).

والباشا يوسف بن علي بن أحمد (1210–1246هـ/1795–1830م)، الذي ذكره ابن عبد القادر، هو ثالث وُلَاة الأسرة القَرمَانَلّيَّة التي حكمت ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، منذ سنة 1123هـ/1711م، على يد مؤسسها أحمد الأول القَرمانَلّي (1123–1158هـ/1711–1745م). الذي تَوَلَّى الأمر من بعده ابنه محمد باشا القَرمانَلّي (1158–1168هـ/1745–1754م)، ومنه إلى ابنه علي باشا القَرمانَلّي (1168–1208هـ/1751–1793م) وهو والد يوسف باشا الذي أشار إليه ابن عبد القادر. وقد تَعَرَّضَ علي باشا القَرمَانَلّي لاضطرابات داخلية، كما انْتُزِعَ الحُكْم منه بواسطة رجل مُغَامر جَرِيء يُدْعَى "علي أفندي"، والمعروف بـ "علي برغل"[1]، فدخل على إثرها علي القَرمانَلّي ومعه وَلَدَيْه أحمد باشا ويوسف باشا في نزاع مع علي برغل لمدة سنتين تقريباً، ظهرت فيها شخصية يوسف باشا القيادية، الطامحة للحكم على حساب أخيه الأكبر أحمد بن علي. (ميكاكي، دون تاريخ، ص10، 83، 84، 89، 90. 120).

ونَترك لابن عبد القادر سرد أحداث هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ ليبيا كما أوردها في مخطوط رحلته، لا سيّما أنه يُعَدُّ معاصراً لها، فَسَنَة نُزُوله في مدينة طرابلس

[1] يقال إنه سُمِّيَ بـ "**علي برغل**"، لأنه أطعم جنده البُرْغُل بدلاً من الأرز الذي انقطع مجيئه من مصر إلى طرابلس. كما عُرِفَ بأسماءٍ أخرى منها: "**علي الجزائرلي**"، نسبةً للجزائر التي عاش فيها مدة طويلة. وكذلك "**علي الطرابلسي**"، نسبةً إلى مدينة طرابلس التي حكمها لحوالي سنتين، وأيضاً "**علي بن آدم**"، نسبةً إلى والده. (ابن إسماعيل، 2012، ص62، هامش 1). وأطلقت عليه الآنسة توللِي اسم "**علي بن زوول**". (توللِي، 1967، ص510).

هي السنة الثانية من تَولي يوسف باشا القَرمَانَلّي الحكم فيها. والنَّصُّ التاريخي الذي ذكره ابن عبد القادر في هذا الخصوص سنقوم بمعالجته قليلاً من حيث الصياغة، بتَصَرُّف بَسيط منَّا بتغيير بعض المفردات التي جاءت غامضة لأنها تخص عصره بأخرى مفهومة في عصرنا الحالي، مع إضافة بعض الكلمات هنا وهناك خدمةً للنَّصّ وزيادةً في توضيحه تسهيلاً على القارئ، وذلك مع الاحتفاظ بأسلوب المؤلف في الكتابة وسياقه السَّردي للأحداث.

فَممَّا ذكره ابن عبد القادر عن أوضاع ليبيا السياسية قُبَيل مجيئه إليها بما مَفادُهُ أنَّ:

والد الباشا يوسف القَرمانَلّي هو الذي كان مُتَولّياً بمحروسة طرابلس وله ولدان أحمد ويوسف هذا، ثم إنّ رجلاً يقال له علي باشا المعروف الآن ببرغول (برغل) زَوَّرَ كتاباً على لسان أهل طرابلس، وضَمَّنَهُ أنّ وجاق (إيالة) طرابلس لا حاكم له، وأنّ الحاكم الذي به لا قدرة له على شيء، وقد خَشوا على المدينة المذكورة أنْ يَستولى عليها كَفَرَة النّصارى دَمّرهم الله، وإنهم يطلبون أنْ يَتَوَلَّى حُكمهم علي باشا المذكور. وذهب بالكتاب المذكور بنفسه إلى إسطنبول إلى السُّلطان العثماني، لأنَّ له يداً هناك من بعض دائرته[2]، ودفع له الكتاب المذكور فَصَدَّقَهُ في ذلك ووَلَّاه وجاق طرابلس وكتب له بذلك وبعثه وبعث معه من يعضده في ذلك، وأَتَى محروسة طرابلس فدخل إليها مُوَلَّى بها فخرج منها علي والد الباشا يوسف وولداه وأهله وحواشيه وركبوا البحر، وذهب

[2] أي له معارف قادرين على خدمته وهم مُقَرَّبون من السُّلطان العثماني.

الجميع لمحروسة تونس إلا يوسف هذا نزل بمَحَلَّة[3] جمعها من نواحي البلد بالزَّرارية[4] مقابلاً للبلد، وأظهر أنه نائب والده في ذلك وخليفته، وجعل يحارب علي باشا القادم على البلد المذكورة والآخر يقابله بمثل ذلك، فَلَمَّا فرغ ما عند يوسف من البارود وآلة الحرب والمال أظهر حيلة لمحلته، بأنَّ والده كتب له أنّ له مالاً بجابس[5] فليذهب إليه بمحلته ويأخذه ويفرق على الْمَحَلَّة ويرجع لمحاربة علي باشا، فذهبوا لجابس فَلَمَّا وصلوا إليها أظهر حيلة أخرى أنَّ المال بعث إليه والده المذكور وأخذه بعد أن بعث إليه ذلك، وأنه كتب إليه ليقدم لمحروسة تونس في جملة الْمَحَلَّة التي بيده، وهناك يدفع له كل ما يحتاج إليه وتحتاج له الْمَحَلَّة ويمدهم بمَحَلَّة أخرى ليُقْدمُوا على حرابة (مقاتلة) علي باشا المذكور، فامتثلوا أمره وذهبوا معه إلى أنْ وصلوا لمَحروسة تونس، فبينما هم كذلك إذ قدم الخبر على حَمُّودَة باشا (1196–1229هـ/1781–1812م) مُتَوَلّي حكم تونس

---

[3] المَحَلَّة: في لهجة ذلك الزمان بِمَعْنَى الفرقة من الجيش، وتعني أيضاً الحملة. (حسن، 2001، 207/1، هامش 4).

[4] يعرفها أهل طرابلس باسم "الظَّهرة". وفي ذلك يقول الرّحّالة الزبادي الفاسي المنالي (ت: سنة 1209هـ/1794م): "... وأهل البلد يُسَمُّونها الظَّهرة من الظُّهُور لأنها ظاهرة؛ أي عارية من النَّخيل بخلاف العمارات المُتَّصلة بهذا البلد في كل جانب، فإنّها كلها وسط النَّخيل والحُجّاج يُسَمُّونها الزَّرارية باسم رملة متصلة بها، بينها وبين البلد يَعْمُرُ بها سُوقٌ عظيمة". (المنالي، ورقة 11 أ).

والظَّهرة: اسم للمِنْطَقة التي تقع جَنوبي الشّعاب بمدينة طرابلس. ولِعُلُوِّها على مستوى أرض المدينة سُمِّيَت الظَّهرة، وهي من الظُّهُور ضد الخَفاء. (الزّاوي، 1968، ص224).

[5] جابس: قابس، وهي مدينة بين طرابلس وصفاقس على ساحل البحر (البحر الأبيض المتوسط)، فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل، وهي من أعمال إفريقية، وبها مياه جارية. (الحموي، 1977، مج289/4).

ونواحيها، بأنَّ علي باشا استولى على جربَة[6] وهي في إيالة حكم تونس وعمالته، فاهتمَّ بذلك حَمُّودَة باشا واغتمَّ منه، فَتَوَجَّهَ إليه يوسف هذا وقال: "**لا تهتم بهذا الأمر ولا يَغُمُّكَ حَالُهُ وَجّهْني لمحاربته وجَهّزْني وأنا آخذ جربَة إن شاء الله وكذلك آخذ محروسة طرابلس**". (ابن عبد القادر، ورقة 142 أ–ب).

فَوَجَّهَهُ بمَحَلَّة عظيمة مُشتملة على الخيل والرجال وغير ذلك من كل ما يحتاج إليه من آلة الحرب والمدافع والمال وغير ذلك، وطالَبَهُ بأنْ يتوجه إليه مَصحوباً معه مراكب بالبحر يَستعين بها على ذلك.

فَتَوَجَّهَ من عنده لناحية طرابلس فَلَمَّا قارب تلك النواحي جعل يُفَرّق مَحَلَّتَهُ بالطُّرُقات، وذهب في نحو ألف من الخيل حتى أَتَى جربَة ليلاً، وعبر بخيله في المراكب لناحية جربَة وتَسَوَّر ليلاً على القصبة التي بها حاكم جربَة من قبَل علي باشا، وقتل بعض حُراسها حتى دخل لحصن الحاكم وقتله وجلس موضعه ونَصَّبَ راية على ذلك. فَلَمَّا كان وقت الصباح أجلس أحد أصحابه من أهل محلته بالقصبة حاكماً بها، وفُتحَ باب المدينة وأعلنوا بنصر حَمُّودَة باشا، ووَجَّه (أرسل) إليه لمَحروسة تونس رأس الحاكم الذي قُتل، فَلَمَّا مَثَلَ بين يَدَي حَمُّودَة باشا فَرحَ بذلك غاية وسُرَّ به وأمر كل من في إيَالَته من الحاضرين أنْ يُواصلوا (يُكْرِمُوا) من قَدَّم الرأس المذكور. (ابن عبد القادر، ورقة 142 أ).

[6] جِربَة: جزيرة معروفة في الجمهورية التونسية، تقع مقابل قابس على خليج قابس، وقد يُطلق على المدينة الواقعة في هذه الجزيرة اسم "واحة السوق"، وهي تقع في ولاية مَدْنِين. وبها العديد من صناعات الفَخَّار والسَّجَّاد وصيد الإسفنج والأسماك. (شامي، 1993، ص151).

وتَوَجَّهَ يوسف في الْمَحَلَّة المذكورة لمحروسة طرابلس ونزل عليها، وأمر من في المركب المصحوبة معه أنْ يخرجوا بنفس نزوله عليها أربعين مَدفعاً بالبحر بَغْتَةً، فَلَمَّا أخرجوا المدافع تابعهم بإخراج مثلها في البَرّ بالمحاربة، فَدَهَشَ أهل البلد غاية الدهش ولحقهم من الرعب ما لحقهم، فَلَمَّا توجهوا للمَحَلَّة من ناحية سور المدينة ونظروا إليها ورأوا ما لا يقدرون على مقابلته، تَجَلَّدوا وجعلوا يقاتلونهم بالمحاربة، فَلَمَّا مَضَت أيّام وهم على هذه الحالة وَجَّه يوسف هذا نحواً من خمسة وعشرين رجلاً ليلاً للباب الصغرى –النافذة للحصار المعروفة بباب الغدد– ووَجَّهَ معهم الزّفت والقطران والزيت وحَنَّكُوها ليلاً وأهل البلد لا يشعرون، وأوقدوا بها ناراً ودخلوا فَلَمَّا أتوا للباب الثانية لم يقدروا لها على شيء، فَتَوَضَّأَ كل واحد منهم وراءها نكاية لهم وخرجوا لمَحَلَّتهم، فَلَمَّا أصبح الحال وجدوا الباب الأولى محرقة وأثر الرجال دخلوا إلى الباب الثانية، فاشتَدَّ دهشهم ورعبهم فلا يمكن علي باشا المذكور إلا الهروب والفرار من البلد، فَجَمَعَ جميع متاعه الذي له بها وشَمَّرَ ساعد الجد في الهروب، وركب البحر ليلاً في عياله وأقاربه صُحْبَة متاعه، وهرب ولم يشعر به أحد من أهل البلد ولا من أهل الْمَحَلَّة. (ابن عبد القادر، ورقة 142 ب–143 أ–ب).

فَلَمَّا أصبح الحال أُلْفِيَتْ باب قُبَّته مفتوحةً، فَدَخَلَ إليها بعض خدمته فلم يجدوا لها أثراً هنالك، فَشَعَرَ بذلك بعض اليهود فَتَسَوَّر من السور ونزل للمَحَلَّة وأخبر بذلك يوسف المذكور، فلم يُصَدّقهُ وخَشَى أن تكون حيلة وخَديعة ومَكيدة، فَرَدَّ اليهودي ووَجَّهَ جُمْلَةً من أصحابه ليلاً وتَسَوَّروا على سورها، فَأَلفوا بعض الحُرَّاس نائمين فَأَوثَقوهم بالحبال وأجلسوا من يحرسهم، ومَضوا فَأَلفوا حُرَّاساً آخرينَ فَقَتلُوهم ودخلوا للحصار لمَحَلّ المملكة، فلم يجدوا أحداً هناك ولم يجدوا متاعاً أصلاً إلا الفُرُش الحَفيلة (الكثيرة) بمَحَلّ

المملكة، فَرَجَعُوا ونزلوا وأخبروا بذلك يوسف فَصَدَّقَهُم حينئذ ورام دخول البلد واستباحة دمائهم وأموالهم، فأعلن أهل البلد بنصره وطلبوا منه أنْ يَعفيهم وادَّعوا أنهم كانوا مُكرهون فيما فعلوا، فَعَفَا عنهم ودخل البلد ووطنها وكتب إلى والده في المحروسة تونس، فَقَدمَ عليه والده وأخوه أحمد ومن أُضيفَ إليهما. (ابن عبد القادر، ورقة 143 ب).

وبعد أنْ سرد لنا ابن عبد القادر كيفية استرجاع القَرمَانَلّيّينَ لسُلطانهم في ليبيا، يسترسل في المقام نفسه ويوضح لنا الطريقة التي وصل بها يوسف باشا القَرمَانَلّي لسدَّة الحكم على حساب أخيه أحمد، وهي في مجملها تنطوي على الدهاء والْمَكر والخداع، ومما جاء في رواية ابن عبد القادر:

أنَّ والد يوسف باشا وأخيه أحمد لما قَدمُوا عليه استظهر والده المذكور بفَرَمَان – وهو كتاب من عند حاكم تونس– بأن أحمد المذكور يكون باشا البلد ويوسف يكون باي، والباي في عُرفهم أَحَطُّ مَرتَبةً من الباشا وتحت حكمه وكلمته. فَأَسَرَّها يوسف في نفسه ولم يُبْدهَا لهم طلباً لرضاء والده، وبَقوا على هذه الحالة إلى أنْ تُوفي والدهما علي المذكور، فَحَضَرَ يوسف المذكور بين يَدَي أخيه أحمد وقال له:

"إنَّ الأمر لك وكَلامُكَ هو المسموع لكَونكَ أنت الباشا، وأمَّا كلامي فلا يُسْمَعُ، فَأْمُر أهلنا وأقاربنا أنْ ينزلوا للمَنْشيَّة خارج البلد بالزَّرارية ويسكنوا هنالك، ليَتَوَسَّع علينا الحال ويبعدوا عنا لئَلّا يلحقنا كلام ولا غيره من هؤلاء الأقارب، وإنْ أمرتهم أنا بهذا الأمر لا يسمعوا لي كلاماً". (ابن عبد القادر، ورقة 144 أ–ب).

فأجابه بأن: **"قد أصبت الصَّواب، لكن سأذهب للمَنْشيَّة وانظرها وأُعَينُ لكل واحد منهم مَنزلاً يَليقُ به".** (ابن عبد القادر، ورقة 144 أ–ب). فَلَمَّا خرج أحمد من محروسة طرابلس

مُتَوجّهاً للمَنْشيَّة بهذا القصد، غَلَّقَ يوسف باب المدينة ورام محاربته وحلف له إن هو تَوَجّهَ إليها ليقتُلَنَّهُ، فَمَضَى أحمد باشا بسلام لمحروسة تونس في جُمْلَة من أصحابه، ووطنها وهو بها الآن تحت إيالة حَمُّودة، وأمَّا علي باشا المعروف الآن ببَرغول فقد توجه لقاهرة مصر بمتاعه ووطنها. (ابن عبد القادر، ورقة 144 أ–ب).

وإذا رَكَّزنا على رواية ابن عبد القادر وسرده لهذه الأحداث –سواء عن فتنة علي بُرغل أو كيفية وصول يوسف باشا لحكم ليبيا– نجدها في أروع ما يكون؛ ممتلئة بالحوادث والمعلومات والتفاصيل الدقيقة، كما بها الكثير من الحوارات الدائرة بين شخوصها في إضافة جديدة للنَصّ التاريخي عن الأسرة القَرمَانَلّيَّة، التي لا نجدها في غيرها من الكتب المَصدرية التي كَتَبَت عن تلك المرحلة على حَدّ علمنا، والتي من المؤكد أنَّ ابن عبد القادر كان قد استقاها وسمعها من أهالي طرابلس –الشاهدين على حوادثها– عند مُكُوثه فيها للراحة ومُصَاحبته لبعض عُلمائها وفُقهائها، مما يُعَدّ إضافة تاريخية جديدة لمَن يُريد الكتابة عن الأسرة القَرمَانَلّيَّة في ليبيا، ولا سيّما أنّ ابن عبد القادر من الكُتّاب الذين تُؤخذ رواياتهم على مَحمل الجد، فهو فَقيهٌ عالمٌ، سَليل أسرة اشتهرت بالعلم والعلماء، هي الأسرة الفاسية الغَنيَّة عن التعريف.

ونعود لابن عبد القادر وملاحظاته عن الوضع السياسي في ليبيا في أثناء مروره بأقاليمها ومُدُنها، حيث نَفهم من خلال كتاباته –سواء في طريق ذهابه أو إيَّابه– أنّ سلطان يوسف باشا السياسي كان يشمل –إلى جانب إقليم طرابلس– أكثر المناطق والمُدُن السّاحلية الليبية الأخرى، تلك التي في المنطقة الوسطى أو الشرقية، متمثلةً في حواضرهما سرت وابن غازي (بنغازي)، وفي ذلك يقول ابن عبد القادر وهو في طريق ذهابه:

"ومن الغد رحلنا قبل طلوع الفجر ونزلنا بابن غازي على مسيرة ثلاث ساعات، فَوَصَلْنَا لابن غازي من طرابلس على مسيرة مائة ساعة وأربعين ساعة غير كسر... وهي الآن في إيالة حاكم طرابلس". (ابن عبد القادر، ورقة 134 أ–ب).

وأيضاً في طريق عودته من الحَجّ مُروراً بالمنطقة الوسطى من ليبيا ذكر:

"ومن الغد رحلنا عند الفجر وبتْنَا على مسيرة أربع ساعات بأرض سرت بعد أنْ خرجنا من برقة وقت الظهر... وهم الآن في حكم يوسف صاحب ولاية طرابلس، فَبلادهم بسَبَبه بلاد هَناء وعافية". (ابن عبد القادر، ورقة 134 أ–ب).

ولم يَنْسَ ابن عبد القادر أنْ يُعطينا معلومات عن بعض حركات التَّمَرُّد التي قادتها بعض القبائل الليبية الرافضة لحكم يوسف باشا القَرمَانَلّي زمن رحلته، وفي ذلك يقول:

"ومن الغد رحلنا بعد صلاة الصبح وبتنا بعد الزَّوارات العامرة[7] على مسيرة خمس ساعات وربع الساعة... وعرب تلك النَّواحي يُقال لهم النَّوايل... فلم يدخل منهم واحد هنالك لهُروبهم من تلك النَّواحي؛ لأنهم امتنعوا من الدخول في بَيعة الباشا يوسف، فَفَرُّوا من إيَالته وعَمَالته". (ابن عبد القادر، ورقة 150 أ–ب).

[7] الزّوارات العامرة أو الزُّوارة العامرة: هي المنطقة التي ذكرها الكثير من الحُجَّاج المغاربة في رحلاتهم باسم الزُّوارة الشرقية وهي المعروفة بالزُّوارة الكبرى (الأحمر، 2022، ص29). وكانت تُعرف أيضاً باسم "كوطين" إلى أن هُجِرَ هذ الاسم، وتُسَمَّى حالياً بـ"زوارة" فقط. وهي تقع غربي مدينة طرابلس بنحو 109كم (الزّاوي، 1968، ص175).

وقبيلة النَّوايل التي ذكرها ابن عبد القادر هي قبيلة عربية لازالت مقيمة في ليبيا ومعروفة باسمها إلى يومنا هذا، وهي تنحدر من بُطُون دباب من قبائل بني سليم، وهم قوم شبه رُحَّل في ذلك الوقت، إذْ يعيشون في الخيام بصفة دائمة، وينتقلون في منطقة الجفارة المجاورة للعجيلات، حيث تقيم بعض شعبهم بصفة دائمة (دي أغسطيني، 1978، ص413، 414)، ولا سيما في زوارة والعَسَّة والجّميل ورقدالين وزلْطن وجنان بن نصيب ووادي المقطع (مَنَّاع، 2013، ص512).

وفي المقام نفسه –بخصوص حركات التَّمَرُّد على الحكم القَرَمَانَلّي– يذكر ابن عبد القادر سيف النصر[8] ورفضه لحُكم يوسف باشا، وفي ذلك يقول:

"ومن الغد رحلنا بعد طُلُوع الشمس ونزلنا قبل الغروب على مسيرة ست ساعات بعد أنْ مَرَّ الركب بماء كثير بمَواجن منحوتة في حجارة. ومن الغد ركبنا صباحاً ولقينا ضُحَى الباي سلومة ابن أخت الباشا يوسف وخليفته بابن غازي، في خَيل كثيرة، ورَحَّبَ وهَشَّ وبَشَّ وهو في وسط مَحَلَّة، يريد محاربة سيف النَّصر لعَدم طاعته الباشا يوسف المذكور، ونزلنا قبل الغروب على مسيرة خمس ساعات". (ابن عبد القادر، ورقة 36 ب–37 أ).

[8] كما ذكره ابن عبد القادر في مخطوط رحلته باسم شيخ العرب سيف النصر غيث، ووصفه بأنه: "**رَجلٌ مُسنٌّ غَليظُ القَلب لا يَخلو من جَفوة ومن شُحّ وبُخْل**". (ابن عبد القادر، ورقة 36 ب). وقد بَيَّنَّا أسباب وصفه له بهذه الصفات الجارحة في المبحث الأخير من المقال، وهو الموسوم بـ "لَمَحَات عن الحياة الاجتماعية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسيّ".

وسيف النّصر هو شيخ قبيلة أولاد سليمان، وهم عرب يرجع نسبهم إلى بنو دباب بن مالك من بني سليم (المقريزي، 1916، ص67). وقد استوطنت قبيلة أولاد سليمان المنطقة الوسطى والغربية من ليبيا ثم انحصرت بعد ذلك في الجنوبية (فَزَّان). وقد اشتهرت بمُناهضتها للأسرة القَرَمَانَلّيَّة منذ استيلائها على حكم ليبيا، فكانت لها صَولات وجَولات في معارضتها لحكمهم، استمرت لعشرات السّنين مات على أثرها الآلاف من الطرفين. وسيف النصر نفسه شيخ القبيلة المذكور أعلاه كان قد لَقيَ مصرعه في إحدى تلك الجولات في معركة طاحنة ضد قُوَّات يوسف باشا سنة 1804م. وقد استمر تمرد قبيلته من بعده على القَرمَانَلّيّينَ بقيادة ابنيه غيث وأحمد إلى أنْ تمكن يوسف باشا من قتلهما بحلول سنة 1808م. ثم تجدد تمرد القبيلة من جديد في ثورة حفيده عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر سنة 1831م، التي استمرت لسنوات عديدة، حيث انتهى حكم القَرمانَلّيّين على ليبيا سنة 1835م ولا تزال نيران الثورة مستعرة لم يستطيعوا إخمادها، إلى أن تمكنت القوات العثمانية من ذلك في معركة قارة البغلة الفاصلة في وادي بَيْ[9] سنة 1842م، انتهت بمقتل عبد الجليل وأخيه سيف النصر وبعض أبنائهما، وهجرة الكثير من أفراد قبيلة أولاد سليمان إلى تشاد طلباً للنجاة. غير أنَّ من بَقي منهم في ليبيا ظَلَّ على تمرده للإدارة التركية، مُسَبّباً لها الإزعاج حتى السنوات الأولى من بداية القرن العشرين. (الطوير، 2003، ص55-59).

[9] هو واد من أودية طرابلس المشهورة، يأتي من الجنوب الغربي من الحَمَادة، ويَصُبُّ في تاورغاء. ويُقال إنَّ بعض روافده تأتي من جبال الهروج وهو أكبر الوديان في طرابلس. (الزّاوي، 1968، ص340).

ونَترك أمر أولاد سليمان وطبيعة علاقتهم بالقَرَمَانَلّيين ومن بعدهم العثمانيين، ونعود لابن عبد القادر ليستكمل لنا باقي انطباعاته عن الوضع السياسي في طرابلس إبَّان نزوله فيها، ذاكراً لنا بعض صفَات يوسف باشا القَرمانَلّي وطبيعته في الحكم، مُلخّصاً لبعض سياسته الخارجية مع الدول الأجنبية في فقرة مَفَادها:

"وأميرها الآن [أي طرابلس (ليبيا)] الباشا يوسف المذكور، في غاية الضَّبْط والاتْقَان، مُشتغل بنكاية العدو الكافر، وقد سَلَّطه الله على أعدائه الظَّلَمَة، وله مراكب بالبحر قَلَّ ما سَفر مركب منها ويرجع بغير غنيمة، وهو رجل صغير السّنّ كبير العقل، مُجتنبٌ للفواحش، مُتقن لأحكامه، مُشتغل بالجهاد، مُبَاين لأهل الفَساد". (ابن عبد القادر، ورقة 22 ب).

ولم يدر ابن عبد القادر أنَّه في فقرته المختزلة هذه كان قد لَخَّصَ بكل اقتدار السياسة التي استطاع بها يوسف باشا بناء مَجْدٌ له في الحكم، مُضيفاً شهرة للأسرة القَرَمَانَلّيَّة، مُخَلّداً اسمه واسمها في الذاكرة الشعبية وفي التاريخ، كونه امتلك أسطولاً بحرياً قوياً يُعَدّ من أقوى أساطيل البحر المتوسط آنذاك، صارع به أساطيل القُوى الغربية متفوقاً عليها، مما جعله واسع الشّهرة مَرهوب الجانب، تَسعى تلك الدول لعقد تحالفات معه، في أغلبها تتضمن دفع إتاوات لحكومته مقابل حماية أساطيلها العابرة للمتوسط من سَطوة الأسطول اللّيبي وهَيمَنَة سُفُنه.

المبحث الثاني: لَمَحَاتٌ من الحياة الاقتصادية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسيّ:

بطبيعة الحال أنَّ الاستقرار السياسي لأيَّ دولة من الدول سيؤدي إلى استقرار في الأوضاع الاقتصادية، إن لم نقل ازدهارٌ أو رخاءٌ وذلك حسب القوة البشرية والمقومات الطبيعية والثروات التي تمتلكها تلك الدولة. وفي حالة ليبيا فإنه يُفهم من حديث ابن عبد القادر في مخطوط رحلته أن الاستقرار السياسي التي حصلت عليه البلاد في السّنين الأولى من حكم يوسف باشا القرمانلي قد جعلها في أوضاع اقتصادية جيدة جداً، فَممَّا قاله عن ذلك بالخصوص:

"**وطرابلس الآن عند أهل النَّواحي في غاية الرَّخاء فإنَّ القمح بها بنحو عشرين أُوقيَة للنوبية، والنوبية بها خمسة أمداد كبيرة من مَدّنا الكبير الفاسي، والشعير بنحو عشر أَوَاق قديمة للنوبية، وبها كثير من الخضر والفواكه والسّمن والزيت والسّلع**". (ابن عبد القادر، ورقة 144 ب).

وكذلك وهو يحدثنا عن أهل سرت بقوله: "**وهم الآن في حكم يوسف صاحب ولاية طرابلس، فَبلادهم بسببه بلاد هناء وعافية**". (ابن عبد القادر، ورقة 134 أ–134 ب).

أما في بنغازي فقد اشتكى ابن عبد القادر من نقص بعض السلع التي احتاجها ركبه مَؤُونَة للسفر تحديداً من الحبوب، مما جعلها غالية الأسعار، وفي ذلك يقول: "... **أقمنا هناك [أي في بنغازي] لقضاء الركب مآربه من الشعير والدقيق والإبل وغير ذلك من مُؤْنَة السَّفر، وهو في غاية الغلاء حتى كاد لا يوجد قمح ولا شعير، فألقينا القمح بها على حساب كيل الحضرة الإدريسية بعشرين أُوقية للمَدّ والشعير بالنصف من ذلك**...". (ابن عبد القادر، ورقة 37 أ).

وفي الوقت نفسه نجده يُثْني على تَوَفّر سلَع غذائية أخرى بكثرة في بنغازي تصل إلى درجة الرخاء، وذلك في جملة استدراكية أعقبت الأولى، مَفَادُهَا: "... **إلاَّ أنَّ السّمن والزيت واللَّحم ونحو ذلك موجود كثير الوجود على هذه الحالة ألفيناها الآن**". (ابن عبد القادر، ورقة 37 أ).

وتأكيداً على ذلك نجد ابن عبد القادر يَستشهد بما قاله الرحالة العَيَّاشي (ت: 1090هـ/1679م)، عنها عندما نزل فيها وهو في طريق ذهابه للحَجّ سنة 1072هـ/1661م، فَنَقْتَبِسُ مما ذكره في حَقّها الآتي:

"**وقد وصفها أبو سالم بغاية الرخاء فقد ذكر في رحلته ما صورته، وهي: أي مَرسَى ابن غازي حَسنة بسَفح الجبل الأخضر بينها وبين سُلُوك مسافة يوم... وفي ذلك الْمَرْسَى تُصَبُّ أودية السَّمن والعَسل والشَّحم والودك من الجبل الأخضر الذي لا أخصب منه ولا أكثر إداماً فيما رأينا من البلاد، وتحمل كل ذلك السُّفُن إلى طرابلس وجربة وما بإزائهما من البُلدان**". (العَيّاشي، 2006، 201/1. ابن عبد القادر، ورقة 37 أ– ب).

ونَصُّ العَيَّاشي هذا إلى جانب توضيحه على أنَّ الرخاء الغذائي التي كانت تعيشه بنغازي آنذاك كان سَبَبَهُ المباشر ما يُجْلَبُ لها من منتوجات الجبل الأخضر، فإنّه في الوقت نفسه يُشير إلى نشاط حركة التجارة الداخلية والخارجية (التصدير) عبر ميناء المدينة، من جَرَّاء توفر هذه السِّلع وحاجة الأسواق الخارجية إليها. وقد استمر ميناء بنغازي نشطاً في حركته التجارية إلى زمن نزول ابن عبد القادر في المدينة، فَممَّا قاله عنه:

"ومن الغد رحلنا قبل طلوع الفجر ونزلنا بابن غازي على مسيرة ثلاث ساعات... وابن غازي مدينة ذات بنَاء مُتَّسع غير مُتقن، وعليها مَرسى يُؤْتَى إليها من محروسة طرابلس ومن تونس ومن التُّرك بالسّلع والفواكه". (ابن عبد القادر، ورقة 37 أ–ب).

ولم تكن الحركة التجارية النشطة مقتصرة على مُدُن طرابلس وبنغازي فقط، فإنها كانت تشمل أغلب مناطق ليبيا ولا سيما تلك التي كانت تقع على طريق الحُجَّاج، فَمَوسم الحَج وما يشهده من مُرُور الأركاب المَغربيَّة المختلفة بأرض ليبيا في طريق ذهابها أو إيَّابها من الحجاز، جعل من المُدُن والقُرَى والمناطق الليبية المختلفة سُوقاً تجارية دائمةٌ وفي الوقت نفسه رائجةٌ؛ وذلك بما يَفِدُ عليها من أعداد غفيرة من الحُجَّاج المسافرين، الذين يجدون فيها بُغيتهم من الزاد، فَيَشترون منها ما يُعينُهُم في سَفَرهم الشّاق من مُؤَن ضرورية، كالطعام والملابس والإبل والدواب المختلفة للامتطاء وغيرها من لوازم السَّفر البَرّي.

فإلى جانب أسواق طرابلس وبنغازي وسرت حَدَّثَنا ابن عبد القادر عن أسواق أخرى زَخرت بها مناطق وقُرَى ليبية نزل بها ركبه للتسوق والشّراء، فَممَّا ذكره عن ذلك:

"ومن الغد رحلنا بعد الشروق ومَرَرْنَا على الشماس والفوار على مسيرة أربع ساعات... وعلى الشماس المذكور قصبة صغيرة[10] تُعرف بقصبة أولاد علي معداة لخَزْن الشعير وغيره... واشترى الركب من هذه القصبة ما يَكفيه من الشّعير والتّمر المجلوب لها من سوى[11] وذلك في غاية الغلاء". (ابن عبد القادر، ورقة 41 أ).

[10] القصبة: مدينة صغيرة أو قرية كبيرة، يكون لها عادةً سور وسوق. (ناجي ونوري، 1973، ص255).

[11] هكذا جاءت في المخطوط، والمقصود واحة (سِيوَة)، التي تقع حالياً ضمن حدود جمهورية مصر العربية.

وكذلك في طريق العودة تَسَوَّقَ ركب ابن عبد القادر من القصبة نفسها:

"ومن الغد رحلنا عند الشروق ونزلنا نهاراً بمعطن الشّماس والفوار لشراء الشّعير من قصبة أولاد علي التي هنالك، وبِتْنَا هنالك واشْتُرِيَ الشّعير منها بحساب أربع أواق لمد فاس الإدريسية". (ابن عبد القادر، ورقة 129 أ)

وأيضاً ذكر:

"... ومن الغد رحلنا بعد صلاة الصبح وجاوزنا حبس فرعون المتقدم[12]، وبِتْنَا هنالك –عند قبر يُزَار صاحبه يقال له: سيدي عثمان– في أرغد عَيش وأَتَمّ نعمة والحمد لله بعد أنْ سَقَى الركب الماء من غدير ماء مطر، وسير هذا اليوم كله مَرْعَى للإبل والبهائم لكَثرة الكلأ كأنه فصل الربيع، وأَتَى عرب تلك البلد بالغَنم للبَيع، وبالتّمر وبالشّعير وبالإبل والسّمن ومن احتاج لشَيء اشتراه. وغنم هذه البلد في غاية السّمن، وهؤلاء العرب يُقال لهم المسيكات". (ابن عبد القادر، ورقة 130 أ–ب).

وأضاف في المقام نفسه على أرض سرت ما بين مَعْطَن الزَّعفران وقُصُور حَسَّان:

[12] يقع مباشرة غرب منطقة التّميمي الليبية للذاهبين إلى مصر والحجاز، وقد قال فيه ابن عبد القادر: **"وهو سِجْنٌ مَنْحُوتٌ في حجارة تحت الأرض، بابه على وجه الأرض وهو كبير جداً وبه بئر ماء، هكذا أشاع على ألسنة الحُجّاج أنه حَبْسُ فرعون، كان يسجن به من قاهرة مصر والله أعلم بغيبه".** (ابن عبد القادر، ورقة 40 أ).

"ومَرَرْنَا على نَجَع[13] ورفلة وأولاد سليمان واشْتَرَى الركب منهم التَّمر بأبخس ثمن والغنم والإبل والشَّعير". (ابن عبد القادر، ورقة 135 ب).

كما لم يَنْسَى ابن عبد القادر –فيما يخص الأوضاع الاقتصادية– أنْ يُشيرَ إلى أهم دخل ومورد لخزائن دولة يوسف باشا القَرَمَانَلّي في ذلك الوقت، وهو الغنائم التي يحصل عليها الأُسطول اللّيبي من غزواته في البحر المتوسط وهجومه على سُفُن الدول الغربية وأَسْر ما يقع منها والاستحواذ على ما فيها، وفي ذلك يقول ابن عبد القادر:

"وأميرها الآن الباشا يوسف المذكور في غاية الضَّبْط والاتقان مُشتغل بنكاية العدو الكافر، وقد سَلَّطه الله على أعدائه الظَّلَمَة، وله مراكب بالبحر قل ما سَفر مركب منها ويرجع بغير غَنيمة". (ابن عبد القادر، ورقة 22 ظ).

"وأما مَرْسَى محروسة طرابلس فَقَلَّمَا يَمُرُّ يوم واحد ولا تدخل لها مَركبٌ غَنيمة فَتحاً من الله على مُتَوَلّي حُكمها الباشا يوسف، فقد سَعدت به تلك البلاد كلها وهو قائم بها أَتَمّ القيام، لا شغْلَ له إلاَّ أنْ يَسْعَى في جَلب المنافع لها ودَفع المَضار عنها، فَجَزاهُ الله خيراً عكس ما كان مُتَوَلّياً قبله". (ابن عبد القادر، ورقة 141 أ–ب).

وقد ظَلَّ الغزو البحري وما يَنجم عنه من غنائم أهم مَورد اقتصادي للأسرة القَرَمَانَلّيَّة، فامتلأت لذلك خزائنهم بالأموال، وغَصَّت حَمَّامَاتُهم بالأسرى، ولا سيما من الأوروبيات التي اتَّخَذَ منهن بعض الحكام والأمراء زوجات لهم، واستمر الحال على ما هو عليه إلى أنْ استطاعت الدول الأجنبية التدخل والنجاح في إنهاء نشاط البحرية

---

[13] النَّجَع: جمعها نُجُوع، وهي مستوطنات بَشَرِيّة، بَدَوِيّة صغيرة، قَبَلَيّة في أغلبها، متنقلة دائماً، يتبع أهلها مساقط الغيث طلباً للكَلأ والعُشْبَ أينما وُجِد، لذلك يعتمدون على بُيُوت الشّعر (الخِيَام) في إيوائهم. (ابن منظور، دون تاريخ، 4353/48. العوامي، 2010، ص29).

الليبية التي كانت تمثل أهم إيرادات الدولة الاقتصادية، والذي كان سبباً غير مباشر لانتهاء الحكم القَرَمَانَلّي للبلاد، مع ضعف حكام هذه الأسرة وتنازع أفرادها على السلطة، مما عَجَّلَ في عودة ليبيا لحظيرة الدولة العثمانية والحكم التركي المباشر منذ أوائل يونيو سنة 1835م. (ميكاكي، دون تاريخ، ص. ى، ن).

المبحث الثالث: لَمَحَاتٌ من الحياة الاجتماعية في ليبيا من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسيّ:

إلى جانب ما سبق فقد أتحفنا ابن عبد القادر الفاسي في مخطوط رحلته بنُصُوص ومعلومات توضح لنا بعض جوانب الحياة الاجتماعية لليبيين في ذلك الوقت، فَمن أول ما نزل ابن عبد القادر بطرابلس أعطانا انطباع عن طبيعة أهل البلاد وأخلاقهم وكيفية تعاملهم مع الغريب، وفي ذلك يقول:

"وهذه المدينة في نفسها هي كما وصفها أبو سالم في رحلته[14] بقوله: مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة... ومآثرها جَليلة ومَعَايبها قليلة... إلى ما جمع لأهلها من زكاء الأوصاف وجميل الإنصاف وسَمَاحة على المعتاد زائدة، وعلى المُعتافين[15] بأنواع المبرة عائدة، لا تكاد تَسمع من واحد من أهلها لَغْواً إلا سَلاماً، ولو لمن

---

[14] هو الرحالة أبي سالم العياشي صاحب رحلة ماء الموائد المعروفة بالرّحلة العَيَّاشيَّة، والنَصُّ أعلاه الذي استشهد به ابن عبد القادر هو مقتبس مما ذكره عن ليبيا في تلك الرحلة. (العيّاشي، 2006، 135/1).

[15] المُعتافين أو المُعتافون: هم الذين يَتَزَوَّدون للسفر. ومفردها مُعتاف، واعْتَافَ الرجل: إذا تَزَوَّدَ زَاداً للسفرِ. (الزبيدي، 1987، 198/24).

استحقَّ ملاماً، سيَّما مع الحُجَّاج الواردين ومن انتسب إلى الخير من الفقراء العابدين، فإنهم يُبالغُون في إكرامهم ولا يألون جهداً في إفضالهم عليهم وإنعامهم". (ابن عبد القادر، ورقة 22 ب–23 أ).

ويَضرب ابن عبد القادر مثلاً على سَمَاحة أخلاق أهل طرابلس وحُسْن تعاملهم بأنْ ذكر أنَّه عقب دخوله لطرابلس:

"ولَقيتُ هناك رجلاً مُسنّاً راكباً على حمَار، يُتَوَسَّمُ فيه الخير والصَّلاح، ويُنَوّهُ به أهل بَلده سُميَ لنا سيدي عبد الحميد الكردوني، فَدَعَاني من غير معرفة ورَحَّبَ بي غاية وهَشَّ وبَشَّ، وطلبنا منه الدعاء الصالح فَدَعَا لنا، وطلب منَّا الدعاء فَدَعْونَا له بعد أنْ سأل نسبتنا، نرجو من الله القبول". (ابن عبد القادر، ورقة 23 أ).

وحُسْنُ أخلاق أهل طرابلس ليس بجديد، ومدح الغرباء لهم ليس بعَجيب، فقد أشاد بطرابلس وأهلها الكثير من الرَّحَّالة والجُغرافيين والمؤرخين المسلمين قديماً وحديثاً، وما دَوَّنُوه في كتبهم يَشهد على ذلك، ويَكفينا في هذا المقام ما أورده ابن عبد السلام الناصري (ت: 1239هـ/1823م)، في رحلته الحجازية المَوسومة بالرحلة الناصرية الكبرى، حيث قال:

"والحاصل مَدح البلد وأهلها، وحُسن أخلاقهم، وجُودهم، سارت به الرُّكْبَان...". (الناصري، 2013، ص333).

وكان أكثر ما تظهر مَكَارم أخلاق الليبيين في طريقة معاملتهم للحُجَّاج المغاربة عند مرورهم من البلاد والنُّزُول فيها للراحة –سواء في طرابلس أو برقة أو فَزَّان– والتزود بالمُؤَن وهم في طريق ذهابهم أو عودتهم من الحجاز، فيستضيفونهم ويُكرمون وفادتهم بإعداد الطعام لهم. وكانت هناك أماكن بعينها عُرفَت بذلك في ليبيا حتى أنَّ

الحُجَّاج المغاربة كانوا يعرفونها من قبل مَجيئهم للبلاد، وذلك بما سَمعوه عنها من الحُجَّاج الذين عَبَروا أرض ليبيا من قبلهم، أو ممَّا قرأوه بخصوصها في كتب الرحلات الحجازية السابقة لهم. ومن تلك الأمكنة التي اشتهرت بذلك لدرجة أنْ عُرفَ اسمها باسم الوجبة التي اعتاد أهلها تقديمها للحُجَّاج، وهي قرية صغيرة أو زاوية بمنطقة ساحل حامد أو الأحامد[16]، التي عَرَفَهَا الحُجَّاج المغاربة باسم "**سيدي بوعصيدة**"؛ لأنَّ الوليّ الصالح الشيخ سيدي بوعصيدة وأبناءه من بعده والمرابطين سُكَّان هذه المنطقة، عُرفوا بذلك لمَا كانوا يُقَدّمونه للحَجيج من عَصيدة باللَّحم. (الورثيلاني، 2008، 219/1، 717/2).

ويُخبرنا ابن عبد القادر أنّه وركبه في رحلة إيّابهم، قد مَرُّوا بساحل حامد وهناك زاروا ضريح الولي الصالح سيدي بوعصيدة، بقُبّة على ساحل البحر، فأكرمهم أهل تلك الناحية وضَيَّفوهم بالطعام، الذي اشتهروا به واعتادوا أنْ يُطْعمُوه لمَن مَرّ بهم من الحُجّاج وغيرهم. وفي ذلك قال:

"**مَرَرْنَا نهاراً بضريح الولي سيدي بوعصيدة وتَعَرّض لنا أهل تلك الزاوية بقصَع كثيرة من العصيدة يُسَمّونها تلك النَّواحي البازينة –بباء موحدة وزاي بعد الألف– أَزْيَدُ من أربعين قَصْعَة، وذلك دَأْبهم مع الركب**". (ابن عبد القادر، ورقة 136 ب–137 أ).

وفي الحقيقة أن ابن عبد القادر قد انفرد وتَمَيّزَ عَمّنْ سَبقوه من الرّحّالة –من أمثال ابن ناصر الدرعي (الرحلة، ص204، 661)، وابن الطَّيِّب الشرقي الفاسي (2014، ص311–312)، والحُضَيكي السوسي (2011، ص88)، والورثيلاني (2008، مج219/1،

[16] بلد بجوار مدينة لُبْدَة، وهو مُلاصق لمدينة الخمس، وطوله من الشرق إلى الغرب نحو 18كم، وينتهي الذاهب منه إلى الشرق بعين كعام، ومن هناك يدخل إلى أرض زليتن. (الزّاوي، 1968، ص179).

مج717/2)، وابن عبد السّلام النّاصري (2013، ص356)– الذين نَزلوا هم الآخرون ضُيُوفاً مُكرمين على أهل تلك المنطقة، وتحدثوا عن هذه العَصيدة وغاب عنهم ذكر اسمها، في حين ذكره ابن عبد القادر وسَجَّلَهُ لنا في مخطوط رحلته باسم "**البَازين**". وهو وجبة غنية عن التعريف، لا تزال تُعرف إلى يومنا هذا بالاسم نفسه، وتُعَدُّ من أشهر وجبات الأطعمة وأعرقها عند أهالي إقليم طرابلس، وهي عَصيدة من دقيق الشعير كانت تُمَثّل الغذاء الرئيس لهم. (الْوَزّان، 1983، 98/2).

وإذا كان الكرم وحُبّ الضيافة من السّمات الغالبة على أخلاق أهل ليبيا في ذلك الوقت، فإنَّ ذلك لا يَعني أنه لم تكن هناك انحرافات اجتماعية وظواهر سلبية ظهرت في المجتمع آنذاك، من ذلك ظاهرة اللُّصُوصيَّة والحرابة، التي انتشرت في بعض مناطق ليبيا ولا سيما تلك التي تقع على الطرق والمسالك التي يرتادها المسافرين ولا سيما الحُجَّاج منهم، وقد تعرض ابن عبد القادر لشيء من ذلك، وقد سَجَّلَهُ لنا في مخطوط رحلته، وهو كالآتي:

"**ومن الغد وهو يوم الجمعة الثامن عشر من رمضان سَقَيْنَا الماء من معطن الزَّعفران وبتْنَا هنالك على مسيرة ست ساعات أيضاً عند الغروب... ومن الغد رحلنا قبل الفجر بنحو ثلاث ساعات وبتْنَا على مسيرة سبع ساعات عند الغروب على غير ماء، ولم نَسر ليلاً لمخافة الطريق بسبب العرب ظهروا هنالك، ونهبوا بعض الإبل من الركب لأُنَاس كانوا مسافرين بالركب قاصدين نحو فَزّان**". (ابن عبد القادر، ورقة 35 ب).

كذلك في طريق عودته:

"ومن الغد رحلنا بعد صلاة الصبح وبتنا بكنينس[17]، نزلناه عند العصر لتعرض عرب الزاوية من البداوة للركب، وراموا نهبه محتجين بما وقع لابن قدورة منهم بمغربنا من قطعه بأمر مولانا المنصور بالله لسَعْيه بالفساد في تلك البلاد. وعند مَبيتنا قَدمَ علينا السَّيّد علي بن بليطان، أحد خَدَمَة الباشا يوسف مُتَوَلّي حكم طرابلس كان بابن غازي لقضاء غرض وتَوَجَّهَ معنا لمَحروسة طرابلس، فاستعان به الشيخ حفظه الله على رَدّ العرب المذكورين عَمّا أرادوه وأبدى لهم من الخيل حتى سَلك الركب بلطف الله". (ابن عبد القادر، ورقة 131 ب).

وأيضاً:

"ومن الغد رحلنا بعد صلاة الصبح وبتنا بعد الزَّوارات العامرة على مسيرة خمس ساعات وربع الساعة... وعرب تلك النَّوَاحي يُقال لهم النَّوايل، وهم معروفون بالنَّهْب للحَجّ وكَفَى الله أمرهم لأَهل الركب، فلم يدخل منهم واحد هنالك لهروبهم من تلك النَّوَاحي؛ لأنهم امتنعوا من الدخول في بَيعة الباشا يوسف، فَفَرُّوا من إيَالته وعَمَالَته". (ابن عبد القادر، ورقة 150 أ–ب).

ويُفهم من النُّصُوص السابقة أنَّ الحرابة كانت موجودة على أرض ليبيا وأنَّ حكومة يوسف باشا القرمانلي كانت تحاول الحَدّ منها وفرض هَيبة الدولة والقضاء على رُوح التَّمرد عند بعض القبائل التي كانت تمتهنها، وذلك بإجبارها على الدخول في طاعة الدولة والانصياع لنظامها. وفي الحقيقة إنَّ القرمانليين اشتهروا بعنايتهم بالحَجّ واحترامهم لحُجَّاج بيت الله الحرام سواء من الليبيين أو المغاربة الوافدين، فكانوا يحتفون

[17] يقصد قِمينس: وهي قرية تقع جَنوبي مدينة بنغازي بنحو 52كم. (الزّاوي، 1968، ص285).

بنزولهم في طرابلس مُقَدّمين لهم ما أمكن من سُبُل الراحة والإعانة والتسهيلات لمواصلة رحلة حَجّهم. (العياشي، 2006، مج178/1. الورثيلاني، 2008، 209/1-210).

وفي هذا المقام لم يَفُوتْ ابن عبد القادر أنْ يُسَجّلَ لنا جانباً من اهتمام يوسف باشا برَكب الحَجّ الفاسيّ الذي كان فيه ابن عبد القادر نفسه، وكيف أنْ حكومته استقبلت دخول الركب لطرابلس باحتفال كبير كانت صبْغَة الدولة حاضرة فيه، وفي ذلك يقول ابن عبد القادر:

"... **وفي هذه الأيام الثلاثة السَّالفة الذكر جعل الباشا يوسف مُتَوَلّي حكم طرابلس ونواحيها يبعث خُدَّامُهُ وأصحابه كل يوم بمَؤُونة للركب. ولما قاربنا البلد [أي طرابلس] بعث الباشا يوسف بن علي بن أحمد... ولده لملاقاة الركب في نحو خمسمائة من الخَيل والرُّمَاة، وجعلوا يَلعبون بالبارود حتى دخلنا بمَهرجان عَظيم، فَلَمّا وَصَلنَا لأقواس الزَّرارية، جعلت المدافع تخرج من أبراج البلد، ونزل الركب بالزَّرارية...**". (ابن عبد القادر، ورقة 21 ب).

وعلى ما يكن، فقد عرفنا أنَّ من ضمن الاحتفالات الرسمية للدولة في زمن يوسف باشا القرمانلي هي الاحتفالات الخاصة بمَوسم الحَج، سواء أكانت احتفالات استقبال أركاب الحج المغربية عند نزولها في طرابلس، أو تلك الخاصة بانطلاق تلك الأركاب من طرابلس لمواصلة طريقها عبر التُّراب اللّيبي من الغرب إلى الشرق وُصُولاً إلى مصر، ومنها إلى الحجاز. فَمنَ العادة أنْ يكون في رفقة تلك الأركاب حُجَّاجٌ ليبيون يستغلون فرصة نزولها في طرابلس فَيَلتحقون بها ويَستأنسون بمرافقتها، لذلك فإنَّ أيام انطلاق قوافل الحَجّ هذه وخروجها من طرابلس تُعَدُّ من الأيام المشهودة في المجتمع الليبي آنذاك، (العياشي، 2006، 177/1). تكون مَليئة بالاحتفالات والأهازيج، وازدحام الْمُشَيّعينَ من أقارب الحُجَّاج وأصدقائهم، الذين يَمشون مع القافلة في بعض الأحيان

لمسافة أكثر من يوم من طرابلس إلى منطقة تاجوراء، لتوديعهم الوداع الأخير مُتمنين لهم الحفظ والسَّلامة في سَفَرَهم. (العياشي، 2006، 1787/1. الشرقي، 2014، ص117–118. الورثيلاني، 2008، 211/1–212).

وإلى جانب احتفالات مَوسم الحَجّ ذكر لنا ابن عبد القادر مناسبة أخرى كان أهل طرابلس يحتفون بها ويُعدّونها من المواسم الاجتماعية المهمة، من ذات الصّبغة الدينية والنفحة الرَّبَّانيَّة، وفي ذلك يقول:

"من أحسن ما رأيت بطرابلس أنهم يَعتنون أَشَدُّ اعتناء بليلة النصف من شعبان، يُعدونها من أحفل المواسم، ويَقدون بها مصابيح بالمساجد، ويُحيون ليلهم بالذّكر والصَّلاة والتّلَاوة، فَجَزاهم الله أحسن الجَزاء". (ابن عبد القادر، ورقة 140 ب–141 أ).

وكان ابن عبد القادر –مثله مثل أغلب العلماء والفقهاء من أصحاب الرحلات الحجازية المغربية– يُحبُّ زيارة الأضرحة وقُبُور الأولياء الصّالحين في طريقه والتَّبَرُّك بها، لذلك فقد وَجَدَ ضالته في ليبيا، مُبَيّناً لنا شَيءٌ من عادات أهلها وأعرافهم في ذلك الوقت، وهي انتشار ظاهرة زيارة أضرحة الأولياء وقُبُور أصحاب الكرامات كما كانوا يزعمون، لذلك كَثُرَت المزارات في البلاد، وقد أشاد الكثير من الرَّحَّالة الحُجَّاج المغاربة –الذين مَرُّوا بأراضي ليبيا– بكثرة الصّالحين فيها سواء من الأحياء أو الأموات ولاسيّما في إقليم طرابلس، حَتَّى قيل: إنَّ أرض عَمَالة طرابلس تَنْبُتُ الصَّالحين كما تَنْبُتُ الأرض الْعُشْبَ. (الورثيلاني، 2008، 197/1). وإنها معروفة بالمَجاذيب[18] الذين تُؤْثَرُ

[18] المجَاذيب: جمع مَجْذوب، وهو في اصطلاح الصوفية من ارتضاهُ الحقُّ سبحانه لنَفسهِ واصطفاه لحَضرة أُنْسِهِ وطَهَّرهُ بماء قدسهِ، فَحَازَ من المنح والمواهب ما فاز به في جميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. (البستاني، 1987، ص97). والمجذوب بصفة عامة هو المتزمت في الدين

عنهم كَرَامات وحكَايات غريبة تَدُلُّ على صدقهم في مَواجدهم (العَيّاشي، 2006، 141/1). ولقد أشار التجاني (ت: بعد سنة 717هـ/1317م) في رحلته أكثر من مرة إلى كثرة الْمَزَارات من الأضرحة في المساجد والأربطة التي يقصدها الناس طلباً للبركة، حيث قال: "**وبخارج البلد [يقصد طرابلس] مَحَارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفَضل مَزُورة للبركة**". (التجاني، 2005، ص247). وفي مَوضع آخر أضاف: "**وعلى السّاحل بطوله مساجد كثيرة، وهي مساكن للصالحين قديماً وحديثاً شهيرة، والناس يَزورونها ويَتَبَرَّكون بها**". (التجاني، 2005، ص220).

أما ابن عبد القادر فَيُحَدّثُنَا عن هذا الموضوع بقوله:

"**وكانت طرابلس فيما مَضَى بها مَزاراتٌ كثيرةٌ لكَثير من أكابر الصّالحين، وسَبَبُ جَفَاء مَزاراتها الآن كما قال أبو سالم والله أعلم: أنَّ البلدَ قد تداولته أيدي المسلمين والنَّصَارى مراراً عديدة...**". (ابن عبد القادر، ورقة 23 أ. العياشي، 2006، 141/1-142).

ونَترك لابن عبد القادر الحديث عن بعض تلك المَزارات التي زارها بالخصوص في طريق رحلته عبر ليبيا ذهاباً وإيَّاباً، وقد سَجَّلَهَا لنا في مخطوط رحلته، وهي كالآتي:

"**ومن الغد وهو يوم الجمعة السادس والعشرون من شعبان مَرَرْنَا ضُحَى على قُبَّة، فَسَأَلْنَا المرابطين أولاد بومَريم من أهل ذلك الأرض على صاحبها، فأخبرونا بأنَّهُ**

بالذُّهُول، ويعتقد أنَّه تَتَجَلَّى له رُؤَى وإلهام، أو هو مجنون، أو أبله، ومعروف عند المشارقة أنَّ المجانين والْبُله أولياء مُلهَمون. (دوزي، 1980، 155/2).

من الخَوامس[19] أيضاً، والحُجَّاج يُعَظّمُونه ويُنَوّهون به. وبتنا بالزُّوارة العامرة بعد أنْ سَقَى الركب الماء من الزُّوارة الخالية". (ابن عبد القادر، ورقة 21 ب–22 أ).

"وزرنا سيدي عبد الوهاب بمَحروسة طرابلس بباب البحر، له ضريح هنالك بطرف مَسجد صغير، ويُسَمَّى مَولى البحر له مَزارة مشهورة". (ابن عبد القادر، ورقة 22 أ).

"ومن الغد وهو يوم الجمعة الحادي عشر من رمضان بتْنَا بساحل حامد على مسيرة ست ساعات، وزرنا في هذا اليوم سيدي مفتاح –دَفين بلاد أسلين[20]– بن الولي سيدي أبي فارس دَفين قرب ساحل حامد". (ابن عبد القادر، ورقة 24 أ).

"وزرنا في هذا اليوم سيدي بوعصيدة[21]وغير ذلك من الصَّالحين بقُبَب على ساحل البحر...". (ابن عبد القادر، ورقة 25 أ).

---

[19] الخَوامِس: مفردها خَمْسِيٌّ: خَمْسِيَّة: المذهب الخامس، أي المذهب الخامس من مذاهب أهل السنة. وهو الاسم الذي يُطلقونه اليوم على بَنِي مزاب. (دوزي، 1980، 207/4). وبَنِي مزاب: قوم أكثرهم من قبائل زناتة البربرية، سكنوا منطقة في شَبَكة من سلاسل جبال تُسَمَّى بجبال الشَّبَكة، الواقعة جنوب الجزائر بين الأغواط والمنيعة، ومنهم أَخَذت المنطقة تسميتها، وأغلبهم على المذهب الإباضي. (طلّاي، 1996، ص3). وكذلك إباضية ليبيا –ولا سيما إباضية جبل نفوسة وزوارة– استخدموا لَفظة الخَوامس للتعريف بأنفسهم، لاعتقادهم بأنهم يُمَثِّلون المذهب الخامس من مذاهب أهل السُّنّة بعد الحَنفيّ والمَالكيّ والشَّافعيّ والحَنبليّ.

[20] يقصد سيلين: وهي قبيلة كبيرة تنحدر من أحد فروع القبيلة البربرية كتامة (جذم البرانس). كانت تستوطن –ولا زالت– منطقتها التي عُرِفَت بها، والتي شغلت في العصر الحديث إحدى ضَواحي مدينة الخمس (هي من ضمن الخمس حالياً). (دي أغسطيني، 1978، ص192–194). وهي قد استوطنتها منذ القدم، يقال منذ عهد أفريقش بن قيس أحد مُلُوك التبابعة، وكان لها دَورٌ في محاصرة مدينة لُبْدَة إبَّان سَطوة الإمبراطورية الرومانية، وقد اعتنقت الإسلام بعد الفتح الإسلامي، واستقرَّ بأرضها –إلى جانب سُكَّانها القدم– قبائل عربية وفدت مع الهجرات المتتالية. (مَنَّاع، 2013، ص339).

"ومن الغد زرنا صباحاً سيدي أحمد بوراس العجمي، وزرنا بعد ذلك سيدي سلام وهو سيدي عبد السلام الأسمر، وبتنا بالدَّفْنيَّة[22] على مسيرة ست ساعات". (ابن عبد القادر، ورقة 26 ب).

"... وَوَرَدَتْ علينا بعد نصف اللَّيل من اليوم المذكور امرأة تُعرف بالدرويشة عافية، يُتَوَسّم فيها الخير، والحُجّاج يَقصدون زيارتها لما يعلمون من حالها وتُخبر بمُغَيّبَات وتَصدق في ذلك، فَزرْنَاهَا وباتت عندنا، ومن الغد وهو يوم الأحد الثالث عشر من رمضان وصلنا مسراتة مَدفَنُ الشيخ الشهير، شيخ الطريقة ومَعدن الحقيقة سيدي أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البَرنوسي، الفاسي الدار، الشهير بزَرُّوق رضي الله عنه، على مسيرة ست ساعات، ودخلت مدشراً قبل مدشر مَدفنه فَصَلَّيْتُ الظهر هناك بِمَسجد الخطبة، وزرت الشيخ سيدي محمد بن عامر بقُبَّة بطرف المسجد". (ابن عبد القادر، ورقة 27 أ–ب).

"ومن الغد أصبحنا مقيمين فَتَوَجَّهنا لزيارة الشيخ زَرُّوق –نفعنا الله ببركاته آمين– عند صلاتنا الصبح، فَزرْنَاهُ وتَبَرَّكنا بأثره نَرجو من الله القَبول. وزرنا قبراً بلَصْق قَبر الشيخ المذكور يُعرف بسيدي منصور، وسألنا عنه بعض من حضر بضريحه فأجابنا بأنه كان يخدمه وتَزَوَّجَ بعده زوجته المسراتيَّة، لأنه تُوُفيَ رضي الله عنه عن زوجتين إحداهما فاسيَّة والأخرى مسراتيَّة". (ابن عبد القادر، ورقة 28 أ).

"وفي صَبيحة الغد عُدْنَا لزيارة الشيخ زَرُّوق في جُملة الركب لتأخره عن زيارته إلى وقت السَّفَر، وسفرنا وزرنا ضُحْوَة اليوم سيدي بوشعيفة ومَزارَتُهُ هنالك مشهورة،

---

[21] فراغ في المخطوط.

[22] الدَّفْنِيَّة: هي الأرض المُنحصرة في المسافة بين مَدينَتَيْ زليتن ومصراتة، تبتدئ من زليتن وتنتهي إلى مصراتة بفندق بُورُوَيَّة، حيث يبلغ طولها حوالي 26كم. (الزّاوي، 1968، ص133).

وهو أقدم من الشيخ زَرُّوق على ما حَكَى لنا أهل تلك البلد". (ابن عبد القادر، ورقة 34 ب).

"ومن الغد رحلنا بعد الشروق وأتينا العَقَبَة ضُحَى على مسيرة ساعتين وثلث الساعة... ووقفنا بها على قَبر عَمّنا المرابط سيدي يوسف رحمة الله عليه، تُوُفّيَ بها بعد إيَّابه من الحَجّ سنة سبعين بموحدة ومائة بالأفراد وألف". (ابن عبد القادر، ورقة 40 ب).

"ومن الغد رحلنا بعد الشروق ونزلنا بعد العشاء الأخيرة بمَعطن الشمام على مسيرة عشر ساعات ونصف الساعة، بعد أنْ صَلَّيْنَا الظهر بمَقْبَرة بها قَبرٌ يُتَبَرَّك به يُقال لصَاحبه سيدي عبد الرحمن البَرقاوي". (ابن عبد القادر، ورقة 42 ب).

وفي طريق عودته ذكر ابن عبد القادر:

"ومن الغد رحلنا بعد صلاة الصبح وجاوزنا حبس فرعون المتقدم، وبِتْنَا هنالك عند قبر يُزَار صاحبه يقال له سيدي عثمان في أرغد عيش وأَتمَّ نعمة والحمد لله". (ابن عبد القادر، ورقة 130 أ).

"مَرَرْنَا نهاراً بضريح الولي سيدي بو عصيدة... ومن الغد رحلنا بعد صلاة الصبح وبتنا على مسيرة خمس ساعات بسانية بعد ضريح سيدي عطية". (ابن عبد القادر، ورقة 136 ب–137 أ).

"... بعد يومين ذهبت لمَحروسة طرابلس وزرت ضريح الشيخ سيدي عبد الوهاب وتَبَرَّكْتُ بأثره...". (ابن عبد القادر، ورقة 137 ب).

وهكذا، ومن خلال النُّصُوص السابقة التي أوردها ابن عبد القادر يتضح لنا كثرة الأضرحة والمَزارات التي كانت موجودة على أرض ليبيا، والتي تَدُلُّ على اهتمام الأهالي بها والمحافظة على وجودها، فهي تعكس موروثهم الاجتماعي الذي نشأت عليه أجيالهم، فالمجتمع اللّيبي كأيَّ مجتمع بسيط في ذلك الوقت، كان أهله يعتقدون في فضل الصّالحين، فتجدهم دائماً ما يتناقلون روايات عن كَرَاماتهم ويَتَبرّكون بذكرهم وأخبارهم ويَتَأَسُّون بطريقهم (المالكي، 1994، 2/383-384). فكانت قُبُور هؤلاء مَزَاراً للكثير من الليبيين، طلباً لبركتهم التي يطمعون لنَيلها لكَي تُسَخّر لهم قُوَى علْويَّة لا يُدركها العقل ولا يُحَدّدُها المَنطق، ترعاهم في حياتهم وتُسَهّل عليهم فتح الأبواب المُغلقة (الأحمر، 2023، ص405). وقد كانت عادة تقديس الأولياء وزيارة أضرحتهم والتّوَسُّل عندها عادة قديمة عند بربر المغرب عامةً جاءت من أفكار دينية من قبل إسلامهم وتوارثوها إلى ما بعد إسلامهم (أوليري، 1982، ص195). ولا تزال منتشرة بين سُكّان الشّمال الأفريقي إلى يومنا هذا (بشير، 2005، ص124-125). وكانت عادة الكثير من الأهالي عند زياراتهم لتلك القُبُور أنْ يُقَدّموا إليها النُّذُور والقَرابين، بنَحْر الأضاحي على حسب الحالة المادية للزائر، فهي تتنوع ولا تخرج عادة عن الثّيران والأبقار والأغنام والماعز والإبل والدَّجاج والدّيَكَة. (الطّاهر، 1969، ص163، 173).

وعلى ما يكن، نختم حديثنا في هذا المبحث بناحية اجتماعية أشار إليها ابن عبد القادر في طريق رحلته، وهي المصاهرة التي كانت بين ابن الأسرة الحاكمة في المغرب، وابنة سيف النصر غيث شيخ قبيلة أولاد سليمان. حيث أنَّ عاهل المغرب كان قد أرسل –برفْقَة الركب الفاسي الذي كان فيه ابن عبد القادر– هدية إلى الشيخ سيف النصر، إلى جانب الهدية التي أرسلتها له ابنته، وفي ذلك يقول ابن عبد القادر:

"ومن الغد رحلنا عند طُلُوع الشمس... وسَقَى بعض الركب الماء من مَعطن الجرد على ساحل البحر، وسبب نُزُولُنَا بذلك الوقت مُلاقاة شيخ العرب سيف النصر غيث، لَقينَا هنالك ودَفع له الشيخ كتاب مَولانا المنصور والصّلَة التي بَعَث إليه صُحبته، ودفع له الصّلة التي بَعَثَت إليه ابنته حفصة صُحبة زوجة مولانا المنصور بالله، وهو رجل مُسنٌّ غَليظُ القلب لا يَخلو من جَفوة ومن شُحّ وبُخْل، فإنَّ بنته حفصة بعثت إليه صلَة لها بال تزيد على الألف مثقال، وبعثت صُحبة ذلك وصيفاً لها يقف على ذلك ويحرسه حتى يدفع إليه، وطلب منه أنْ يُواسيه بحمل يركبه لكثرة إبله ومتاعه فلم يجبه لذلك، فضلاً عن أن يصل ولد مولانا المنصور بالله المَصحوب بالركب بشَيء قَليل أو جَليل". (ابن عبد القادر، ورقة 36 ب).

وفي الحقيقة أنَّ ابن عبد القادر لم يذكر لنا سبب جَفوة الشيخ سيف النصر مع الوفد الذي جلب معه الهدايا، وعدم اهتمامه بأصهاره على الرغم من مكانتهم العالية ومقامهم الكبير كونهم الأسرة الحاكمة في المغرب الأقصى، ولا سيما أنه كان في صُحبة الوفد والهدايا المحملة زوجة سلطان المغرب المنصور بالله وولده، وهو أمر يدعو للحيرة والعجب، فهذه ليس من أخلاق العرب اللّيبيين، الذين –كما وضحنا فيما سبق– تغلب على طباعهم احترام الغريب وإكرام الضيف وحسن معاملته ولا سيما إذا كان الضيف أو الضيوف من الحُجَّاج العابرين، فما بالك إذا كانوا من الحُجَّاج وفي الوقت نفسه أصهارٌ تربطهم علاقة زواج وما ينجم عنها من اختلاط في الدماء والأنساب والأعراق. وهذا ما دعانا للدهشة من موقف الشيخ سيف النصر من الوفد والهدايا، الذي ذكره لنا ابن عبد القادر في مخطوط رحلته، متحاملاً فيه على الشيخ واصفاً إياه بالجَفوة وسوء المعاملة والبُخل والشُّح، ولَكنَّهُ لم يُوضَّح لنا أسباب ذلك.

لكننا نجد الإجابة عند الآنسة تُوللّي[23]، التي كانت معاصرة لأحداث تلك الفترة، مسجلة وقائعها في رسائلها التي كانت تُرسلها من طرابلس، ففي إحدى تلك الرسائل نجدها تحدثنا عن يزيد ابن سلطان المغرب آنذاك[24]، واصفةً إياه –مما أجمعت عليه الروايات حسب قولها– بأنه: "**من أكثر الأشخاص حطَّة وَدَناءَة**". (توللي، 1967، ص135). وكيف أنه قام في سنة 1787م باغتصاب ابنة الشيخ سيف النصر بالقوة والعنف، وإنْ كان قد أعادها في السنة التالية زوجة له في مَوكب فَخم وعظيم، ولأجل أنْ يُهَدّئ من رَوع أبيها الشيخ أقسم له أغلظ الأيمان بأنها سَتُصْبحُ الملكة حين اعتلائه العرش. كما أخبرتنا الآنسة توللي أنه إلى سنة 1789م كان يزيد لا يزال يُكْرِهُ ابنة الشيخ –(حفصة)– ويُضطرها على البقاء معه، وكانت هي تَكره خُلقه وتَشمئز من

---

[23] هي شقيقة القنصل الإنجليزي المستر ريتشارد تُوللي، الذي جاء إلى ليبيا ممثلاً لبلاده للمرة الثانية لمدة استغرقت عشرة أعوام (1783–1793م)، في بلاط الأسرة القَرَمَانَلِيَّة، تحديداً زمن حكم علي باشا القرمانلي. وكان في صحبته أخته الآنسة توللي، التي استفادت من قربها من الأسرة الحاكمة وأمضت السنوات العشر في تسجيل كل ما لاحظته عيناها وسمعته أذناها من أحداث ووقائع سياسية وتقاليد وأخلاق اجتماعية، مُدونة كل ذلك بدقة وأمانة في رسائل كانت تبعثها إلى متلقى مجهول الهوية. فكانت تلك الرسائل –بما تضمنته من مادة غَنِيَّة وخِصْبَة– من أهم المصادر الأساسية لدراسة تاريخ الأسرة القَرَمَانَلِيَّة بصفة عامة، وعهد علي باشا القرمانلي والسنوات السابقة لعهد يوسف باشا بصفة خاصة. (تولّي، 1967، ص7، 25، 54–55).

[24] هو الْمَوْلَى يَزيد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل الحسني العلوي، كان في خلاف مع أبيه السّلطان وقد انشقَّ عليه، فَقَصَدَهُ أبوه يُريد استصلاحه فَتُوُفِّيَ في الطريق إليه سنة 1204هـ/1789م، فبايعته بالسَّلطنة بعض أمصار مملكة أبيه، في حين خالفته أمصار أخرى مُبايعين لأخيه هشام بما في ذلك مَرَّاكش، فَدَخَلَ عندها في نزاع وحروب مع أخيه هشام، واستطاع دخول مَرَّاكش عُنوة، واستمرَّ في حَربِهِ إلى أنْ أُصِيبَ برصاصة في خَدِّهِ في إحدى المعارك، فعاد إلى مراكش فَتُوُفِّيَ ودُفِنَ بها سنة 1206هـ/1291م. (الزركلي، 2002، 8/187–188).

سُلوكه، ولكنها لا تجرؤ على الهروب إلى أبيها مَخافة أنْ تُعَرّضَ حياته للخطر، فَيَقَعَ ضحية خيانة الأمير يزيد وانتقامه. (تولّلي، 1967، ص331، 335).

ومن هذه المعلومات التي أتحفتنا بها الآنسة تُولّلي نستطيع أنْ نَتَفَهَّم موقف الشيخ سيف النصر من أصهاره، فَعَلَى الرغم من أنَّه في وقت رحلة ابن عبد القادر وقدوم الوفد والهدايا كان الأمير المُغتَصب يزيد قد تُوُفّيَ، إلا أنَّ الشيخ سيف النصر على ما يبدو لم يَنْسَى له ما حَلَّ به من إهانة جَرَّاء فِعلته المُخِلَّة بالشَّرف في حَقّ ابنته –حتى وإنْ كان قد أصلحها بالزواج بعد ذلك– فذلك مما أوغر قلبه، وأَثَّرَ سلباً على علاقته بالأمير المغربي في وقتها، وبأهله من بعده، فلم تنجح –على ما يبدو– صلاتهم وهداياهم –التي منها الصّلَة التي بعثها المَوْلَى المنصور بالله[25] حسب رواية ابن عبد القادر– في جَبْر خاطره وترطيب قلبه ونسيان مواجعه، وهو ما يُزيلُ عَنَّا الغبش ويُجَلّي الحقيقة لفَهْم موقف الشيخ سيف النصر من وفد أصهاره وهداياهم، الذي لم يُوَضّحُهُ لنا ابن عبد القادر وفَسَّرَته لنا الآنسة تُولّلي بما جادت به من معلومات قَيّمة بالخصوص.

[25] هو الْمَولَى سليمان بن محمد بن عبد الله، الشريف العلوي، بُويَعَ له بفاس بعد وفاة أخيه الْمَولَى يزيد، كانت أيامه كلها ثورات وفِتَن وحُروب، انتهت باستقرار المُلك له في المغرب الأقصى. كان عاقلاً، باسلاً، مُحِبّاً للعلم والعلماء له آثار في عمران فاس وغيرها، تُوُفّيَ بِمَرّاكش سنة 1238هـ/1822م. (الزركلي، 2002، 133/3).

الخاتمة:

من خلال ما أوردناه في هذه الدراسة من مادة تاريخية استقطعناها من مخطوط الرحلة الحجازية لابن عبد القادر الفاسي، للكشف عن بعض الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في ليبيا في زمن الرحلة، فإنه قد تَكَوَّن لدينا بعض الملاحظات والنتائج التي تتعلق بتلك المادة، وهي كالآتي:

– كان سرد ابن عبد القادر للأوضاع السياسية التي مَهَّدَتْ لوُصُول يوسف باشا القَرمانلي للحُكم –وكيفية تعامله مع أزمة علي بُرغل واستخدامه الحيلة في التَّغَلُّب عليه، ومن بعد ذلك في تَحَايُله على أخيه الأكبر أحمد وافتكاك حُكم ولاية طرابلس منه– في أروع ما يكون، فكانت روايته لتلك الأحداث دقيقة للغاية، مُشَبَّعَة بالتفاصيل الصغيرة، بل نجد فيها أحاديث وحوارات داخلية، كأنَّ ابن عبد القادر كان يَرغبُ في أنْ يُوصل إلينا الأحداث التاريخية التي جرت في ذلك الوقت في صورة متكاملة وحَيَّة، مَليئة بالحركة والإحساسات والانفعالات، فأقل ما نقول عن نَصُّهُ التاريخي عنها بأنه عَرضٌ ناطق للأحداث، وكأنه سيناريو أُعدَّ لإنتاج فيلم أو مسلسل تاريخيّ، ويُعَدُّ ما فيه من مادة إضافة جديدة لمَن يريد الكتابة عن الحُقبة القرمانلية في ليبيا.

– أما عن الأوضاع الاقتصادية فإنَّه على الرغم من قلَّة المادة المُستنبطة من مخطوط الرحلة، فإنَّها تُعْطينَا انطباعٌ واضحٌ للتعرف على أوضاع الليبيين المَعيشيَّة في ذلك الوقت، وتبيَان أهم دَخل اقتصاديّ كان للدولة القَرَمَانَلّية آنذاك، وهو الغزو البحري ضدَّ سُفُن النَّصَارى وما ينجم عنه من غنائم، الذي كان يُعَدُّ أكبر مورد لخَزائن يوسف باشا القَرَمَانَلّي ومَصدر قُوَّته وشُهرته.

– وفيما يخص الحياة الاجتماعية فنجد ابن عبد القار قد أتحفنا في مخطوط رحلته بمعلومات تُعَدُّ متميزة عن غيرها من الرحلات، فقد استفرد بذكر "**البازين**"، كونه وجبة معتادة يُقَدّمها أبناء الوليّ الصالح الشيخ سيدي بوعصيدة وأبناءه من بعده والمرابطين سُكَّان المنطقة للحُجَّاج العابرين. كما عَرَّفنا بأسماء بعض القبائل الليبية المستوطنة في ذلك الوقت منها قبائل: أولاد سليمان، وأولاد بومريم، وورفلة، والنَّوَايل، وعرب المسيكات، وأولاد علي. مُعْطياً ملاحظاته عن طبيعة أهل البلد وأخلاقهم والتعريف بجزء من معتقداتهم وموروثهم الاجتماعي.

– هذا إلى جانب تعريجه على موضوع المُصَاهرة التي كانت بين سلطان المغرب الأقصى والشيخ سيف النصر شيخ قبيلة أولاد سليمان، ووصفه لسَيف النصر بأوصاف جارحة دون التوغل في تفسير الأسباب الحقيقية لذلك، فنعتقد أنَّ ابن عبد القادر كان يقصد هذا الشُحّ في السَّرد، فكيف لا وهو لا يستطيع الطعن في أمير من أمراء الأسرة المغربية المالكة بما لها من جَبروت وسُلطان، لا سيما أنَّ بعض أفراد هذه الأسرة كانوا يَحُجُّون معه في الرحلة نفسها. وهذا التقصير المتعمد من ابن عبد القادر وبتره للحدث التاريخي ومسبباته، وعدم اهتمامه بإكمال المعلومة وتفسيرها المنطقي الصحيح، جعل من قارئها يلتبس عليه الأمر، ويعجز عن فهم حقيقتها وما خَلَّفَتْهُ من توابع طبيعية.

ومهما يكن من الأمر، نختتم نتائجنا في هذا المقال بتوصية جديدة لمن يرغب في دراسة مخطوط رحلة ابن عبد القادر الحجازية، فَعَلَى الرغم من توضيحنا لما جاء في الرحلة عن جُغرافية ليبيا وعُمرانها، ولَمَحَات من أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإنَّ هناك جَانبٌ آخرٌ لم نكشف عنه بعد في مخطوط الرحلة، وهو الجانب الثقافي والفكري في ليبيا كما عاينه ابن عبد القادر بنفسه، لذلك نُوَصّي من لَدَيه رغبة لدراسة مثل هذه الموضوعات بطرق هذا الباب وفتح مَغالقه، فإنَّ ما أوره ابن

عبد القادر من إشارات ومشاهدات وملاحظات عن ليبيا وما دَوَّنَه في مخطوطه بالخصوص، يُفيدُ في الكشف عن هذا الجانب وتوضيحه، ويسمح بإعداد دراسة يكون فيها –بإذن الله– طَرحٌ جَديدٌ وإضافة، وإثراء للمكتبة التاريخية الليبية.

والله وَليُّ التوفيق

مصادر البحث ومراجعه

– القرآن الكريم (برواية قالون عن نافع المدني).

أولاً: المصادر:

1. المصادر المخطوطة:

– الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر. (مخطوط مصور). رحلة ابن عبد القادر الفاسي من مدينة فاس. تحت رقم حفظ (1054 جغرافيا)، وميكروفيلم (48116). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

– المنالي، أبو محمد عبد المجيد بن علي بن محمد الزبادي الفاسي (مخطوط مصور). بُلُوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام. تحت رقم حفظ (D1808). الرباط: الخزانة العامة.

2. المصادر المطبوعة:

– الآنسة توللّي. (1967). عشرة أعوام في طرابلس. (عبد الجليل الطاهر، المترجم). بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع.

– التّجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد. (2005). رحلة التّجاني. (حسن حسني عبد الوهاب، المقدم) طرابلس–تونس: الدار العربية للكتاب.

– الحموي، شهَاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (1977). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.

– الدَّرْعي، أبو العَبَّاس أحمد بن محمد ابن ناصر. (2011م). الرحلة الناصريّة 1709–1710م. (الطبعة 1). (عبد الحفيظ ملوكي، المقدم والمحقق) أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع.

– الزَّبيدي، محمد المرتضى الحُسيني. (1987). تاج العروس من جواهر القاموس. (مصطفى جازي، المحقق). الكويت: وزارة الإعلام.

– السّوسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الحُضَيْكي. (2011). الرحلة الحجازية. (الطبعة 1). (عبد العالي لمْدَبّر، المحقق) الرباط: مركز الدراسات والأبحاث والتراث.

– الشرقي، محمد الطيب بن محمد بن موسى الفاسي. (2014). رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة. (عارف أحمد عبد الغني، المحقق) دمشق: دار العراب– دار نور حوران.

– العَيّاشي، أبو سالم عبد الله بن محمد. (2006). الرّحلة العَيَّاشيّة 1661–1663م. (الطبعة 1). (سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، المحققون) أبو ظبي: دار السّويدي للنشر والتوزيع.

– الفاسي، الحسن بن محمد الوَزَّان المعروف بليون الإفريقي. (1983). وصف إفريقيا. (الطبعة 2). (محمد حَجّي ومحمد الأخضر، المترجمان) بيروت: دار الغرب الإسلامي.

– المَالكيّ، أبو بكر عبد الله بن محمد. (1994). كتاب رِيَاض النُّفُوس في طبقات علماء القيروان وإفْريقيّة وزُهَّادُهُم ونُسَّاكُهُم وسيَر من أخبارهم وفَضَائلهم وأوصافهم. (الطبعة 2). (بشير الْبَكّوش، المحقق). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد. (1916). البيان والإعراب عَمَّا بأرض مصر من الأعراب. (إبراهيم رمزي، الناشر والمراجع) مصر: مطبعة المعارف.

– الناصري، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام. (2013). الرحلة النَّاصريَّة الكبرى. (الطبعة 1). (المهدي الغالي، المحقق) المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

– بن محمد، سيدي الحسين. (2008). الرّحلة الورثيلانية الموسومة بنُزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار. (الطبعة 1). (محمد بن أبي شنب، المُصَحّح) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

– بن مَنْظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة. (دون تاريخ). لسان العرب. (عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، المحقّقون) القاهرة: دار المعارف.

– حسن، الفقيه حسن. (2001). اليوميات الليبية 958-1248/1551-1832. (الطبعة 2). (محمد الأُسْطَى، وعَمَّار جُحَيدر، المُحَقّقَان) طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

ثانياً: المراجع:

1. الكتب:

– الأحمر، رمضان محمد رمضان. (2023). طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي – تفاعل السياسة مع الأرض والناس. (الطبعة 1). لندن – القاهرة: الناشرون دارف المحدودة– دار الفرجاني.

– البستاني، بطرس. (1987). مُحيط المحيط– قاموس مُطَوَّل للغة العربية. بيروت: مكتبة لبنان.

– الطّاهر، عبد الجليل. (1969). المجتمع اللّيبي دراسات اجتماعية وأنثروبولوجيَّة. (الطبعة 1). صيدا–بيروت: المكتبة العصرية.

– الطوير، محمد امحمد. (2003). ثورة عبد الجليل سيف النصر ضد الحكم العثماني في ولاية طرابلس الغرب (1831–1842م). (الطبعة 1). الزاوية: منشورات فايد.

– العوامي، رمضان الصالحين. (2010). ثقافة الرحيل. (الطبعة 1). طرابلس: المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية.

– أوليري، دي لاسي. (1982). الفكر العربي ومركزه في التاريخ. (إسماعيل البيطَار، المترجم). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

– بشير، عبد الرحمن. (2005). اليهود في المغرب العربي 22–462هـ/642–1070م. (الطبعة الأولى). القاهرة: عين للدراسات والبحوث التاريخية والاجتماعية.

– بن إسماعيل عمر علي. (2012). انهيار حكم الأسرة القَرَمَانَلّيَّة في ليبيا 1795–1835. (الطبعة 2). طرابلس: المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية.

– دوزي، رينهارت. (1980). تكملة المعاجم العربية. (محمد سليم النّعَيمي، المترجم) الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام– دار الرشيد للنشر.

– دي أغسطيني، هنريكو. (1978). سكان ليبيا – القسم الخاص بطرابلس الغرب. (الطبعة 2). (خليفة محمد التليسي، المُعرّب) ليبيا– تونس: الدار العربية للكتاب.

– طلّاي، إبراهيم محمد. (1996). الإباضيَّة ليسوا من الخوارج. مزاب– ولاية غرداية: دون نشر.

– مَنَّاع ، محمد عبد الرازق. (2013). الأنساب العربية في ليبيا. بنغازي: دار برنيتشي للكتاب.

– ميكاكي، رودلفو. (دون تاريخ). طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القَرمَانلي. (طه فوزي، المترجم) طرابلس: دار الفرجاني.

– ناجي، محمد ومحمد نوري. (1973). طرابلس الغرب. (أكمل الدين محمد إحسان، المترجم) طرابلس: دار مكتبة الفكر.

2– القواميس والموسوعات والمعاجم:

– الزّاوي، الطّاهر أحمد. (1968). معجم البلدان الليبية. (الطبعة 1). طرابلس: مكتبة النور.

– الزّركْلي، خير الدين. (2002). الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. (الطبعة 15). بيروت: دار العلم للملايين.

– شامي، يحيى. (1993). موسوعة المدن العربية والإسلامية. (الطبعة 1). بيروت: دار الفكر العربي.

3– المجلات والدوريات:

– الأحمر، رمضان محمد رمضان. (2022). جُغرافيّة ليبيا وعُمرانها من خلال مخطوط الرّحْلَة الحجَازيّة لابن عبد القادر الفاسي 1211–1212هـ/1796–1797م. مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي. (العدد الثاني والخمسون).

الملاحق

ملحق (1)

الورقة (2 أ) من المخطوط وفيها مقدمة وذكر خروج المؤلف من مدينة فاس حرسها الله

ملحق (2)

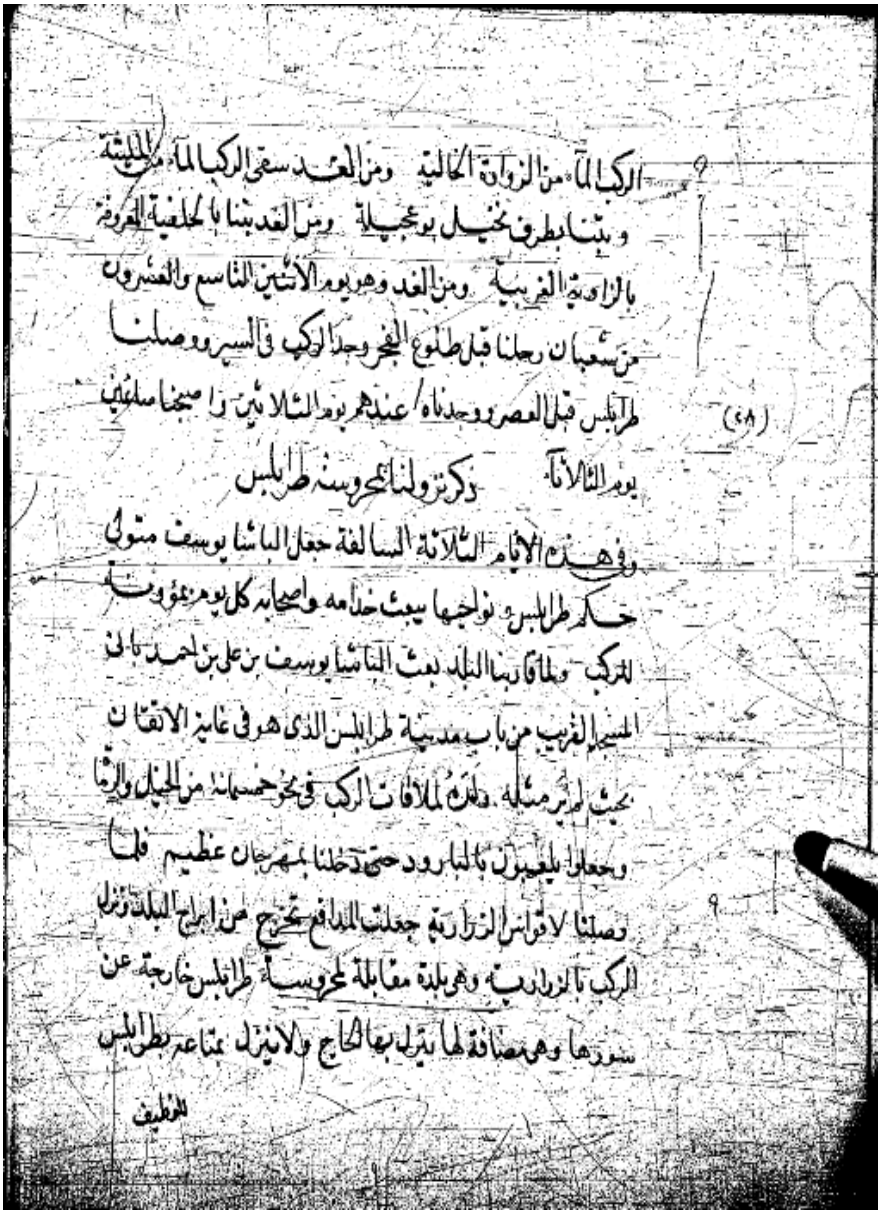

الورقة (22 أ) من المخطوط وفيها ذكر نزول المؤلف بمدينة طرابلس حفظها الله

ملحق (3)

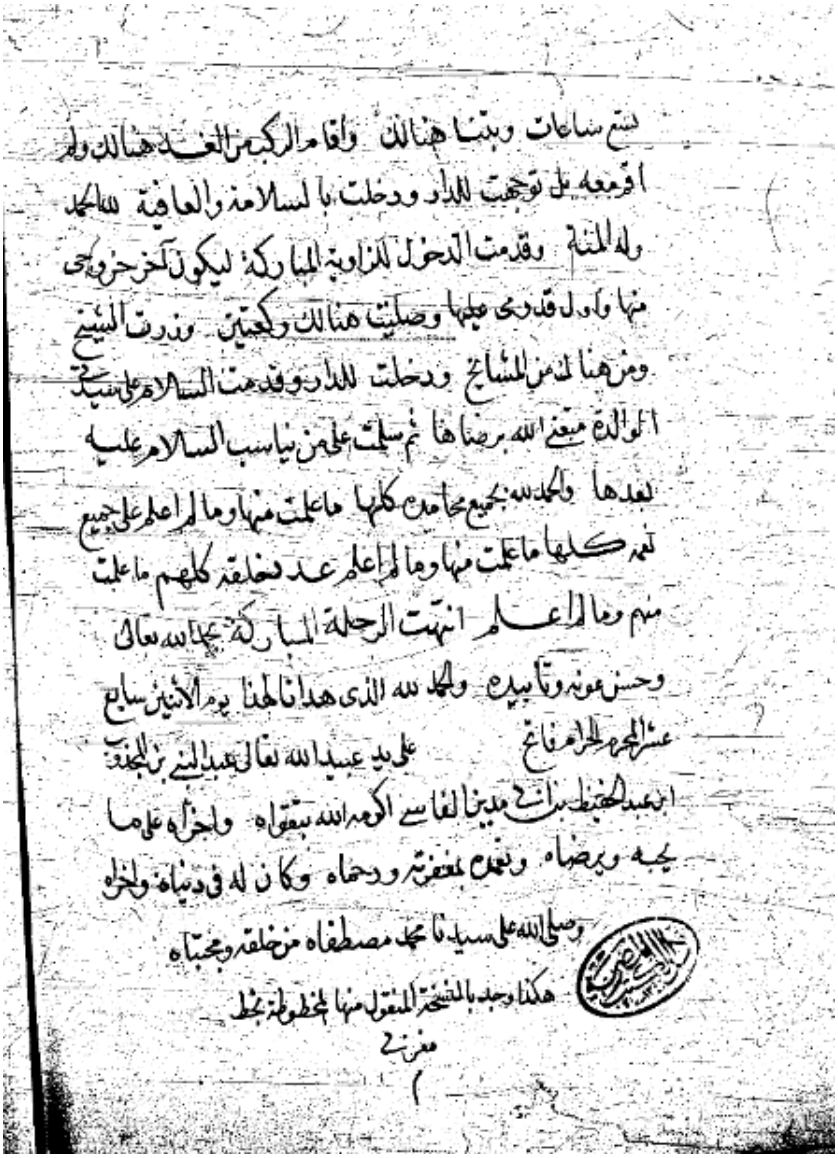

الورقة الأخيرة من المخطوط ونهاية الرحلة الحجازية لابن عبد القادر الفاسي